جامعة الانبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
القسم العلمي: قسم التاريخ
المرحلة الدراسية: الثالث
المادة: تاريخ اوروبا

محاضرات مادة: تاريخ اوروبا

المحاضرة الاولى:

اولاً: فرنسا من الثورة حتى تتويج نابليون بونابرت (1789-1804)

حدثت الثورة الفرنسية عام 1789، نتيجةً لمجموعة من العوامل التي تراكمت وادت إلى انطلاقها في النهاية، وتعد تلك الثورة من أهم الثورات في العصر الحديث إذ جاءت بمفاهيم جديدة للعصر الحديث؛ أثرت في المبادئ والنظم السياسية والاقتصادية واجرت تحولات سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي لفرنسا وأوروبا بوجه عام وابتدأت الثورة عام 1789، وقد عملت حكومات الثورة الفرنسية على إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية، ونفوذ رجال الدين.

1-اسباب الثورة وتطوراتها
أ- الاسباب غير المباشرة:

- **العامل السياسي-:**

ويتمثل بالنظام السياسي السيئ والمتمثل بالحكم الملكي المطلق المستبد، واستغلال إرادة الملك من قبل حاشيته وزوجته وكبار النبلاء ورجال الدين وغير ذلك من أفراد القصر الملكي، بحيث أصبح الناس غير آمنين على حياتهم فمنذ النصف الثاني من القرن السابع عشر (عصر لويس الرابع عشر)، ساد الحكم الملكي المطلق المستند للحق الإلهي او ما عرف بنظرية الحكم الالهي للملوك في فرنسا.

•العامل الاجتماعي

كان المجتمع الفرنسيِ مقسم الى ثلاث طبقات هي طبقة النبلاء المرتبطة بالقصر والمتمتعة بكافة الامتيازات بما فيها حق الوظائف الحكومية والاعفاء من الضرائب وكانوا يطلقون على انفسهم تسمية (اصحاب الدماء الزرقاء) تمييزا لهم عن باقي الشعب ، وطبقة رجال الدين (الاكليروس) التي تمثل السلطة الدينية المرتبطة بالملك الفرنسي والتي تمتعت بحقوق وامتيازات ورثتها هي وطبقة النبلاء من عصر الاقطاع ويعيشون حياة الترف والمجون، ونتيجة لذلك كرههم الناس حيث كان عدد قليل من الشعب ينتمون إلى الطبقتين الأولى والثانية إلا أنهم كانوا يمتلكون النصيب الأكبر من الثراء والنفوذ والامتيازات.

والطبقة الاخيرة هي طبقة العامة او عامة الشعب المكونة من الفلاحين والبرجوازية الصغيرة وكانت اوسع طبقة في المجتمع اذ بلغ تعدادها آنذاك 25 مليون نسمة، الثلاث وكانت محرومة من كافة الامتيازات وتعاني من الحرمان ودفع الضرائب وأعمال السخرة وكان أبناؤها يستغلون في الحروب مما كان له اثره في نقمة المجتمع الفرنسي على السلطة السياسية والوضع الاجتماعي .

•العامل الاقتصادي:

وهي من ابرز العوامل الرئيسية التي اججت الثورة ، فقد كانت خزينة الدولة تعاني من عجز كبير في الموارد منذ أيام لويس الرابع عشر بسبب حروبه المتواصلة، وكذلك بسبب تمويل فرنسا لحرب الاستقلال الأمريكية، إضافة إلى إسراف بلاط الملك وامتيازات النبلاء ، وحاول لويس السادس عشر إصلاح وضع الخزينة؛ فعين خبراء ماليين لمعالجة الأزمة ومنهم (تركوا) و(نيكر) و(كالون) إلاّ أنهم فشلوا جميعاً في مهمتهم نتيجة لمعارضة الطبقة الارستقراطية لمشاريع الاصلاح ، اضافة الى الازمة الاقتصادية وارتفاع الاسعار بشكل خيالي والتي اثرت على حياة الشعب الفرنسي الذي لم يكن بإمكانه شراء رغيف الخبز لا سيما خلال المجاعة التي اجتاحت فرنسا عام 1788.

•العامل الفكري:

سبق الثورة نصف قرن حافل بالتطور الفكري والثقافي في فرنسا فيما عرف بعصر التنوير، وقد أثر هذا الفكر على قيام الثورة بكشفه للأوضاع المتردية التي كانت تعيشها فرنسا وكان معظم النقد موجه للكنيسة والحكومة ومساوئهما، ويُعتبر كل من فولتير ومونتسيكيو وروسو من أبرز الرواد لهذه الحركة الفكرية ، فقد ايقظت افكار فولتيير الطبقات المظلومة وتقبل الناس بسرعة اسلوبه الساخر ونقده اللاذع ولغته الواضحة ، اما مونتسكيو 1689–1755م فقد كتب عن العدالة والدستور وضرورة فصل السلطات الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية)متأثرا بالدستور الانكليزي ، وبالنسبة ل جان جاك روسو 1712–1778م فقد بقيت كتاباته تؤثر في الفرنسيين من جيل الى جيل حيث عرف روسو الحكومة بانها عقد اجتماعي يضمن للشعب حمايته ويقوم بموافقة الشعب والحاكم هنا يحكم بصفته وكيلاً عن الأمة، وعليه أن يلتزم بما

تريده الأمة، وإذا انحرف عن ذلك عُزل من منصبه، ومن ثمّ فإن روسو ينكر أن يكون هناك حاكم يستمد سلطاته من مصدر غير الأمة.

ب- الاسباب المباشرة للثورة الفرنسية

•اجتماع مجلس طبقات الأمة:

بعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية، وزادت الضرائب المفروضة قرر الملك عقد مجلس طبقات الامة والذي كان يجتمع في حالة الازمات الشديدة في (5 ايار 1789م) وهو ما ارادته الطبقة الأرستقراطية لمنع محاولات الاصلاح . فقد كانت التقاليد تقضي بأن يتألف المجلس من ثلاث هيئات منتخبة تمثل إحداها "الإقليدوس" (الملك- الكنيسة)، وتمثل الثانية "النبلاء"، والثالثة تمثل "الشعب". وكان الاقتراع يتم على هيئة ثلاث وحدات منفصلة وليس طبقًا لعدد الأعضاء. وحيث كانت طبقة رجال الكنيسة خاضعة لسيطرة النبلاء الذين يتقلدون المناصب الرفيعة في الكنيسة لقاء الخدمات التي يقدمونها، فقد كانت الطبقتان الأوليان على يقين دائم من الحصول على أغلبية الأصوات، وبالتالي يقوم أبناء الطبقة الثالثة –الشعب- بتحمل عبء الضرائب المفروضة وحدهم. وقد فطن أبناء هذه الطبقة لهذا الأمر، وطالبوا بأن يكون التصويت في المجلس طبقًا لعدد الأعضاء لا طبقًا للطبقة، ثم طالبوا بأن يكون للمجلس السلطة في تنفيذ المشاريع. ثم اعلن قادة الطبقة العامة العصيان والاعتصام في احد ملاعب التنس القريبة من قصر فرساي لحين تنفيذ مطالبهم واطلقوا على انفسهم (الجمعية الوطنية) وقرروا وضع دستور للبلاد لا سيما بعد ان انضم لهم البعض من ابناء طبقتي النبلاء ورجال الدين. كان لهذه التطورات وخوف لويس السادس عشر واستدعاءه بعض فرق الجيش لحماية مقره والبذخ والاسراف الذي ظهر في حفل استقبال هذه القوات رغم المجاعة التي كان يعاني منها الشعب اثره في تأجيج الشارع والخوف من وجود مؤامرة ملكية ضد الجمعية الوطنية، فاندلعت ثورة شعبية في باريس وفي 14 تموز 1789 هاجمت الجماهير الثائرة

مخازن السلاح واستولوا على ما بها ثم هاجموا سجن الباستيل الرهيب والذي كان ينظر إليه كرمز للسلطة الملكية في البلاد. وبعد عدة ساعات من القتال، ومعركة حامية أبيد فيها حراس السجن عن آخرهم ,سقط السجن في يد الثوار الذين قاموا بتخريبه وإطلاق سراح من كان به من المسجونين , وأمام هذه الثورة العارمة تراجع الملك واعترف بالجمعية الوطنية ووافق على رفع علم الثورة المثلث الالوان, واصبح هذا اليوم عيد فرنسا .

•الجمعية الوطنية (1789-1791):

وجهت الجمعية الوطنية في الوقت نفسه جهودها لوضع دستور فرنسا , والبحث عن الوسائل الكفيلة بوقف تيار الفوضى وامتصاص نقمة الشارع فكان من ابرز اعمال الجمعية اعلان لائحة حقوق الانسان في 4 آب 1789 التي حاول الملك رفضها الا انه جوبه بمقاومة عنيفة من الشعب، وكذلك عملت على إلغاء الحقوق الإقطاعية ,وتوزيع الضرائب بالتساوي بين افراد الشعب ودون تمييز طبقي ، وتأميم اموال الكنيسة واراضيها باعتبارها ملكا للشعب واصدرت دستورا خاصا برجال الدين وهو الامر الذي ازعج لويس 16 باعتباره متدينا فهرب الى شمال البلاد, املا في العودة مع الجيش الملكي الموجود هناك وبالتنسيق مع النبلاء المهاجرين خارج فرنسا الا انه اكتشف امره واعيد مع عائلته الى باريس, وفي مطلع شهر أيلول , انتهت الجمعية الوطنية من مهمة صياغة الدستور التي كرست نفسها من اجلها في أيام الثورة الأولى وهي إعطاء فرنسا دستوراً ديموقراطياً يضمن الحريات العامة ويوزع السلطات توزيعاً عادلاً.

وقد أقرت الجمعية الدستور في 3 أيلول 1791 وأكد على مبدأ فصل السلطات , أي فصل السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية وابقى على النظام الملكي مع تحديد سلطات لويس 16 ثم اعلنت الجمعية عن حل نفسها واجراء انتخابات جديدة.

•الجمعية التشريعية(1791–1792)

عقدت الجمعية التشريعية أولى جلساتها وكانت اولى مهماتها تنفيذ مواد الدستور وحماية نتائج الثورة وقد تكونت الجمعية من عدة قوى سياسية منها قوى اليمين وهم من النبلاء ذوي الاتجاه التحرري الذي يؤمن بالملكية الدستورية وقوى الوسط وهم الاكثرية التي تؤمن بالثورة والدستور وقوى اليسار وهم الجيروندیون(نسبة لمقاطعة جيروند) واليعاقبة (نسبة لدير يعقوب) وهم يؤمنون بالنظام الجمهوري والى جانب هذه القوى كانت هناك قوى معادية للثورة خارج الجمعية تتكون من المهاجرين والنبلاء ويقف معهم اباطرة اوربا الذين وجدوا في شعارات الثورة خطرا على عروشهم فكان على الجمعية ترك كل شيء ومواجهة الخطر الخارجي الذي ظهرت بوادره باعلان (بلنتز) الذي اصدره امبراطور النمسا وملك بروسيا وابديا فيه رغبتهما بإعادة النظام الى فرنسا والقضاء على الثورة.

وفي نيسان 1792م أعلنت فرنسا الحرب على النمسا ودخلت جيوشها بلجيكا، الا ان الفرنسين هزموا أمام النمساويين ثم هددت جيوش النمسا وبروسيا العاصمة باريس فانتفض الشعب الفرنسي بكل حماس لحماية ثورته واخذ الشباب يتدفق للتطوع في الجيش حتى تمكن القوات الفرنسية بقيادة ديموريیه من تحقيق الانتصار وصد قوات النمسا وبروسيا في معركة فالمي0

• المؤتمر الوطني (1792–1795)-:

بعد وصول انباء أنتصارات فرنسية في فالمي أنهت الجمعية التشريعية أعمالها , وحل محلها المؤتمر الوطني الذي كانت أعماله ألغاء الملكية واعلان الجمهورية ثم محاكمة لويس السادس عشر وأعدامه في كانون الثاني 1793م ,ثم أعلن المؤتمر عن أستعداد فرنسا لمساعدة كل أمة تطالب بحريتها وتريد التخلص من حكامها ، وهو الامر الذي أثار الدول الاوربية التي رأت في ذلك تهديد لإنظمة الحكم فيها ،لاسيما بعد أعلنت

فرنسا تبنيها نظرية الحدود الطبيعية، لذا أعلنت الدول الاوربية عن تشكيل التحالف الاوربي الاول ضد فرنسا ، الذي تكون من (بريطانيا النمسا ، بروسيا، هولندا، اسبانيا والبرتغال ، وسردينا.

وقد تمكن هذا التحالف من ألحاق الجيوش الفرنسية ، وصاحب ذلك تمردات وعصيان داخلي قاده انصار الملكية ، مما تطلب من قادة الثورة أتخاذ موقف صلب لمواجهة هذه التحديات وظهر ما أطلق عليه (العهد الارهابي) ورغم ما قيل عن هذا العهد الا أنه أنقذ فرنسا من أخطار داخلية وخارجية كان من الممكن من أن تؤدي الى انهيار الجمهورية .

كما أن المؤتمر أنجز الكثير من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية فقد وضع قانون المدني الفرنسي وأنشاء المدارس وتأسيس متحف اللوفر وضع نظام جديد للمكاييل والمقاييس وهو النظام العشري , وعمل على سن الدستور وأنجز أواخر 1795م وعرف بدستور العام الثالث للجمهورية. كما جرت محاوله انقلابية فاشلة قادها أنصار الملكية لمهاجمة مقر المؤتمر الوطني الا أن تدخل نابليون بونابرت الذي كان ضابطا شابا في المدفعية ، وبمهارته وخبرته العسكرية أستطاع أفشال هذ المؤامرة فرقي على أثرها الى (قائد للجيوش الداخلية).

-3نتائج الثورة الفرنسية:

اولا: ظهور نظام جمهوري بشكل عصري حديث يختلف عن اشكال النظم الجمهورية التي سبقته وانتشر هذا الشكل بين دول العالم وانتهى معه عهد الملكية المطلقة.

ثانيا: كتابة اول دستور للبلاد اقر بفصل السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية مما يحجم ويقلل من امكانية هيمنة سلطة على السلطات الاخرى رغم الانقلابات اللاحقة على الدستور الفرنسي .كما اقر الدستور بفصل الدين عن الدولة ومباديء سامية لم

يسبقه لها دستور اخر من قبيل المساواة وحرية التعبير عن الراي والتفكير وعدم التمييز بين المواطنين بسبب الدين.

ثالثا: تحررت السياسة الفرنسية من سلطة الكنيسة ورجال الدين كما الغيت امتيازات النبلاء ورجال الدين هؤلاء وهو الامر الذي استغلته البرجوازية المتوسطة للصعود خصوصا وان من نتاجات هذه الثورة هو تحرر النظام الاقتصادي للدولة ويتجه نحو الرأسمالية والاقتصاد الحر.

رابعا: جاءت بمفاهيم جديدة واحيت اخرى مثل الحرية الفردية والعدالة الاجتماعية والتعليم المجاني واعتماد اللغة الفرنسية كلغة رسمية للدولة بأكملها مما اوجد لاحقا عاملا من عوامل الوحدة.

خامسا : يحدد كثير من المختصين السياسيين تأريخ الثورة الفرنسية كتأريخ لنشوء الدول القومية الحديثة التي تمثل الانظمة فيها ارادة شعوبها ورغم التعثر الذي اصاب مسار هذه الثورة والعقبات التي اعترتها لكنها دقت ناقوس الخطر ولحظة انطلاق زلزلت عروش ملوك اوروبا المستبدين مما جعلهم يناصبون العداء لهذه الثورة ويحاولون اجهاضها وفعلا نجحوا بأعادة الملكية لكن لمدة قصيرة فأرادات كل حكام اوروبا لم تستطع الحيلولة دون تحرر الشعب الفرنسي وقلب العروش على اصحابها لا بل أن الثورة الفرنسية امتد تأثيرها خارجا فأن لم تطح بالملوك فقد اطاحت بسلطتهم المطلقة وصلاحياتهم وأصبحوا مجرد حكام شكليين وتمكنت الشعوب من أن تحكم نفسها بنفسها.

المحاضرة الثانية

امبراطورية نابليون بونابرت

كانت الظروف التي وصل فيها نابليون الى فرنسا من مصر شبيه بتلك التي كانت سائدة قبل تدخله لإنقاذ حكومة الإدارة بل يمكن اعتبارها امتدادا لها ، اذ عادت القوى السياسية بمختلف اتجاهاتها تهدد حكومة الادارة وتتنافس للسيطرة على الدولة ، بينما سئم الشعب الفرنسي حالة الفوضى السائدة في المجتمع ،حيث انعدم الامن وانتشر اللصوص والسلب في الطرقات واصبحت المدارس بلا معملين والمستشفيات بلا ممرضات ناهيك عن العجز المالي والتدهور الاقتصادي والخطر الخارجي المتمثل بالتحالف الأوروبي الثاني، لذلك اخذ الناس يتطلعون بعد عشر سنوات من الثورة والحرب إلى إقرار السلم وإقامة حكومة قوية وقد وجد بعض الساسة ان الجيش المتمثل بشخص نابليون هو الأداة التي تعيد الأمور إلى نصابها وفي مقدمة هؤلاء الاب سييز.

أما عن نابليون فقد دخل باريس فاستقبله الشعب الفرنسي بحماسة بالغة مما جعل نابليون يدرك ان الناس والسياسيون لا يعتبرونه مسؤولا عن الهزيمة في مصر وإنما يقع عبئ ذلك على السلطة الحاكمة في باريس ومن هنا التقت القيادات السياسية مع نابليون ليمهدوا طريق صعوده إلى الحكم .

انقلاب بريمر

مهّدت لهذا الانقلاب فكرة إقامة حكومة مستقرة ، وكان لا بد من اعادة النظر في الدستور لتحقيق ذلك ، وكان هناك رفض واضح من المجلس التشريعي وبعض أعضاء الإدارة لإجراء مثل هذا التعديل ، وقد رأى مؤيدو نابليون ان الجيش هو السبيل الوحيد لتحقيق ما يريدون فأخذوا يخططون بدقة لقلب السلطة وقاد نابليون وأعوانه السياسيون حملة إعلامية كان الهدف منها إقناع الاطراف السياسية لفكرة التعديل الدستوري , طلب أعوان نابليون من أعضاء المجلس نقِلَ إجتماعهم إلى خارج باريس مدّعين ان مؤامرة تحاك من قِبَلْ اليعاقبة لقلب السلطة ،وهناك تقدم نابليون ليعرض على النواب برنامجه وأهدافه لإصلاح البلاد والقى بهذا الشأن خطابا الا انه فوجئ بنداءات مضادة تحذر من ظهور دكتاتور جديد في شخص نابليون عندها طلب رئيس المجلس

لوسيان شقيق نابليون من الجنود الذين طوقوا مكان الاجتماع بتفريق المعارضين بالقوة ولم يبق سوى المواليين له الذين صوتوا لصالح التعديلات الجديدة ، والتي قررت استلام السلطة من قبل 3 قناصل: (نابليون و سيز وديكو) بدلا من حكومة الادارة.

قابل عموم الناس هذا التغيير الذي عرف بانقلاب بريمر عام 1799 بهدوء تام ولم يظهر أي أسف على حكومة الادارة الضعيفة بل أن الكثير من الفرنسيين استبشروا خيرا بالسلطة الجديدة التي يقف على رأسها نابليون معتبرين ان عهد جديدا قد بدأ في فرنسا ، إلا ان هذا لا يعني أن البعض لم يجد في ذلك بداية لعهد الدكتاتورية العسكرية.

ولإعطاء الانقلاب صفة شرعية، فقد وضع في عام 1799 دستور جديد لفرنسا نص على وضع السلطة التنفيذية بيد ثلاث قناصل ينتخبهم مجلس الشيوخ لمدة عشر سنوات وقد انتخب المجلس ثلاث قناصل، وهم (نابليون بونابرت و سييز وديكو)، لتولي السلطة على أن يكون نابليون القنصل الأول ومنحه سلطات واسعة حق إعلان الحرب وعقد المعاهدات وإصدار القوانين وتعيين الوزراء وكبار الموظفين ورئاسة الجيش، أما القنصلان الآخران فكانا مساعدين له وكانت الهيئة التشريعية طبق لدستور سنة 1799 مكونة من ثلاث مجالس، مجلس الشيوخ الذين يعينون أعضائه مدى الحياة من قبل القناصل وكانت مهمته انتخاب أعضاء المجلسين الآخرين، ومجلس التربيون الذي يتكون من مائة عضو وتكون مهمته دراسة مشروعات القوانين التي يقدمها مجلس الدولة، أما المجلس الثالث هو المجلس التشريعي الذي يتكون من ثلاثمائة عضو ومهمته التصويت على مشروعات القوانين وبهذا الشكل المعقد من السلطة التشريعية سيطر نابليون ووزرائه على السلطة.

السياسة الخارجية :

ورث نابليون عن حكومة الادارة مشاكل خارجية تتعلق بالتحالف الاوربي الثاني المكون من (بريطانيا النمسا ، روسيا ،الدولة العثمانية) وقد انسحبت روسيا من هذا التحالف بعد هزيمتها من القوات الفرنسية وكذلك أن بول الاول (إمبراطور روسيا) كان من المعجبين بنابليون واصبح صديقا له .

ثم تمكن نابليون من هزيمة النمسا في معركة حاسمة في حزيران 1800 وهددت قواته فينيا مما دفع بالنمسا الى طلب الصلح مع نابليون فعقد صلح (لونفيل) عام 1801م والذي انسحبت فيه النمسا نهائيا من أيطاليا واعترفت بالجمهوريات التي أقامها نابليون فيها ، وبذلك أنهار التحالف الاوربي الثاني ولم يبق صامداً أمام نابليون سوى بريطانيا , وكان نابليون يدرك استحالة الانتصار على بريطانيا ما دامت السيادة للأسطول البريطاني في البحر لذا قرر فرض حصار بحري على بريطانيا بمساعدة حلفائه الأوربيين ، فكون في كانون 1800 حلفا ضم روسيا والدنمارك والسويد وبروسيا عرف ب(عصبة الحياد المسلح) لتضيق الخناق على بريطانيا والاضرار بمصالحها التجارية وعزلها عن اوربا ، الا أن هذا الحلف فشل في تحقيق اهدافه لقوة الاسطول البريطاني من جهة ، واغتيال القيصر الروسي من جهة أخرى مما أدى الى أنهاء عقد هذا التحالف.

وعلى الرغم من فشل مشروع الحصار القاري على بريطانيا الا ان الاوضاع الداخلية فيها أدت الى قبولها عقد الصلح مع فرنسا والذي عرف بصلح (أميان) عام 1802م ، والذي اعترفت بموجبه بريطانيا بالتغيرات التي اجراه نابليون في أوربا وقد عد هذا الصلح نصر كبيرا لقنصلية نابليون لحصولها على أعتراف بريطاني بالتغيرات التي حدثت في فرنسا أثر الثورة الفرنسية.

الامبراطورية النابليونية

ظهرت الامبراطورية الفرنسية للوجود مع تتويج نابليون بونابرت إمبراطورا لفرنسا في الثاني من كانون الاول 1804م وقد مهدت لظهور الامبراطورية النابليونية عوامل خارجية وداخلية هي :

أولاً: العوامل الخارجية :

1ـ عدم التزام بريطانيا وفرنسا بصلح أميان اذ بدأ كل طرف يتصرف وفق مصالحه الخاصة دون الاهتمام بمعاهدة الصلح .

2ـ أظهرت تحركات نابيلون لبريطانيا عن تصميمه لتحويل موازين القوى أوربا والشرق لصالح فرنسا حيث بدا يتطلع لترسيخ اقدام فرنسا في المستعمرات وعقده معاهدات صداقة مع دول الشرق وهو الامر الذي رات فيه بريطانيا تهديدا لمصالحها مما دفعها الى معاداة فرنسا واصبحت ملجا لانصار الملكية الهاربين من فرنسا.

3- رأى الشعب الفرنسي في هذه الاحداث والموقف البريطاني المعادي للثورة والمؤيد لعودة ال بوربون للحكم تهديدا لفرنسا ، مما دفع بالشعب الى التفكير بتعزيز مكانة نابليون من خلال اعلانه امبراطورا للبلاد .

العوامل الداخلية :

1- ظهور عدد من المؤامرات الداخلية المدعومة من بريطانيا للإطاحة بحكم نابليون من خلال محاولات اغتياله .

2- كشفت هذه المؤامرات للشعب الفرنسي جسامة الخطر المحدق بفرنسا لا سيما وان عدد من القادة السياسيين والعسكريين كانوا ضالعين فيها .

3- وجد الشعب والمجلس التشريعي ان افضل حل لقطع دابر هذه المؤامرات وتقوية النظام هو جعل الحكم وراثيا مما يفقد الملكيين كل امل في استعادة العرش .

4- وفي اقتراح من احد اعضاء المجلس التشريعي تم ادخال المبدأ الوراثي في الحكم في عام 1804 وفي السنة نفسهامنح نابليون لقب الامبراطور وجرى تتويجه في كانون الاول 1804 من قبل البابا بيوس الثاني عشر .

المحاضرة الثالثة

اصلاحات نابليون الداخلية :

صلح الكونكردات -

لعبت عوامل عديدة دورها في تحقيق صلح الكونكردات بين نابليون والبابا بيوس السابع ويأتي في مقدمتها رغبة نابليون الصادقة في عقد هذا الصلح وامتنان البابا لنابليون لأنه لم يمزق الولايات البابوية عندما حقق انتصاراته الماضية في ايطاليا ،مع هذا فقد طالت المفاوضات التي اداها نابليون بدهاء مزج فيه الشدة مع اللين ولم يتم التوصل الى حل نهائي في16 تموز 1801 حيث عادت الكنيسة الكاثوليكية تمارس طقوسها الدينية بشكل رسمي ، الانها اختلفت في اسس قيامها الجديدة عن أسس كنيسة النظام القديم الذي الغته الثورة عندما صدر دستور رجال الدين . فقد اعترفت البابوية بذلك الدستور الذي اعتبر رجال الدين موظفين لدى الدولة ، وبهذا فقد اقرت مصادرة الحكومة الفرنسية الاراضي الكنيسة وممتلكاتها . أما عن تعيين الاساقفة فان نابليون هو الذي يرشحهم ويقوم البابا بإصدار الاوامر بتعيينهم .

اصلاح التعليم : -

عمل نابليون على اصدار تشريع خاص بتعليم يتماشى معا فلسفته التعليمية ، وقد طبق هذا التشريع في جميع انحاء فرنسا ، واهم ما ورد فيه تأكيده على السعي بكل جهد لتحقيق مجانية التعليم الابتدائي للفقراء مما يتيح الفرصة لتعليم جميع أبناء الشعب الفرنسي، وعمم سياسته على جميع مراحل التعليم ،فأنشأ 1808 جامعة تخضع لاشراف الدولة في العلوم والثقافة ومازالت هذه الجامعة قائمة حتى يومنا هذا . ولكي

يضمن نابليون تطبيق سياسته ونشر افكاره فقد اسس)المدرسة العليا للأساتذة(دار المعلمين العليا لتكون أطر تدريسية للمدارس الفرنسية عامة وشجع تدريس اللغة الفرنسية على حساب اللاتينية .

اصلاح القضاء : -

كان القانون المدني الفرنسي من ابرز المنجزات التي حققها نابليون بحيث سمي ذلك القانون بأسمة والحقيقة أن فرنسا قد شهدت خلال الثورة محاولات عديدة لوضع قانون قضائي مدني الا انها انتجت عدة تشريعات لم تنضج نضوجا كاملا بسبب الاحداث المتلاحقة وغير المستقرة للثورة ، دعا نابليون خير العقول القانونية والمثقفة لمناقشة القانون الجديد، وساهم هو بشكل كبير في المناقشات التي دارت حوله في اللجنة التشريعية لمجلس الدولة ، ولم يكن يعبا بالتفاصيل ، بل كان ينضر نظرة شاملة الى أي أمر يخص الوجوه العامة والسليمة ، وكان له رأي واضح وفعال في كل مسألة من المسائل التي نتناولها ، وهو على العموم كان يريد ان تكون الاراضي الزراعية الفرنسية مقسمة الى قطع متوسطة المساحة وأن يكون الاباء في مطلق الحرية، والأبناء مطيعين ، والزوجات مستقيمات مخلصات لأزواجهن . جاء القانون المدني ، الذي صدر سنة 1804 ، جامعا المبادئ القانونية الاساسية للنظام القديم المشابه للقانون الروماني وقوانين اختارها نابليون ومستشاروه من بين القوانين التي صدرت ايام الثورة . وأضحى اهم ما فيه أن الرجل العادي يستطيع فهمه عند قراءته وقد وصفه فشر بالقول انه يضع في عبارة مفهومة وقالب حازم معالم مجتمع متمدن واقعي قائم على المساواة الاجتماعية والتسامح الديني واحترام الملكية الخاصة والحياه العائلية الكريمة ". وبخصوص النقطة الأخيرة فقد ادخل نابليون في القانون نظام الزواج والطلاق المدني ،فقد اعتبر القانون النابليوني الزواج عقدا مدنيا يمكن الاتفاق عليه او فسخه من غير تعب كبير وفي مكتب رجل علماني وكان هذا يعني الاستغناء عن رجل الدين وخدماته في مراسيم الزواج والانفصال والطلاق . ومع ذلك فقد رعى نابليون

أهمية الحياه العائلية حيث كان يؤمن بالنظام الروماني الصارم الذي يقر سيطرة الاباء الصارمة وخضوع الزوجات الى ابعد الحدود ، وقد نقل عن نابليون قوله "ألا تعلم أن الملاك أخبرحواء بأن تطيع زوجها ، ان المبادئ الخلقية فرضت ذلك في جميع اللغات ، ويجدر أن تكتب هذه العبارات بتوكيد أقوى بالفرنسية في القانون الجديد " . لقد بلغ نابليون في تقديسه لوحده العائلة وتماسكها أن حرم في القانون الاولاد غير الشرعيين من حق وراثة أبويهم . وقد ضمن القانون في مجال الحريات العامة جميع الحقوق التي قدمتها الثورة مثل حرية الكلام والتفكير والعمل والمساواة والعدالة امام القانون ، واعطى القانون الدولة الحق في امتلاك ما في باطن الارض من ثروات، وسمح لها بمصادرة الممتلكات مهما كان نوعها اذا اقتضيت المصلحة العامة ذلك، واكد القانون على علمانية الدولة، وفي سنة 1804 انتهت مناقشة القانون المدني وتم نشره في 2 اذار من السنة نفسها.

الاصلاحات الادارية والمالية: -

في اوائل سنة 1800 اصدر نابليون تنظيما اداريا جديدا للبلاد اعتمد على التقسيم الاداري الذي كانت الجمعية الوطنية قد اصدرته عند قيام الثورة، والجديد في هذا التنظيم ان نابليون جعل حكام الاقاليم يعينون من قبل القنصل الاول بدلا من انتخابهم من قبل السكان الاقاليم، واقام محاكم ادارية في الاقاليم تؤمن حقوق المواطنين في حالة تجاوز الادارة الحكومية عليها، ويمكن القول ان نابليون اقام حكما مركزيا مرتبطا به مع توفر نوع من الضمانات الديمقراطية المحلية .وفي مجال الامور المالية انشأ نابليون مجلسا استشاريا يهتم بالشؤون المالية الى جانب كل حاكم اقليم ، نظم الضرائب فزاد من واردات الدولة ،وطهر من الجهاز المالي من المرتشين والذين اساءوا استعمال الصلاحيات المالية، ويرجع الفضل في تأسيس مصرف فرنسا(سنة 1800 الذي اعتبر من المؤسسات المالية القوية.

اصلاحات عامة: -

قام نابليون بفتح طرق المواصلات واستصلاح الاراضي ويجفف المستنقعات وبنى الجسور وفتح قنوات الري ،وشيد القصور الضخمة فأصبحت باريس بل عموم فرنسا وجها جديدا اغتسل بمياه عذبة متخلصه من دماء القتل والارهاب التي عاشتها فرنسا في بعض عهود الثورة لذلك منحته الامة الفرنسية ثقتها عندما انتخب سنة1800 قنصلا اول لمدة عشر سنوات ،ثم في 1802 قنصلا مدى الحياة وفي سنه1804 امبراطورا لقد منحته الامه الفرنسية هذه الثقة اللامحدودة ، من اجل السلام لكنه خيب امالها بتطلعاته الحربي. نحو التوسع ، وكانت هذه نقطة الضعف في حكومة نابليون وربما كانت الهدف الذي سعى اليه نابليون منذ البداية ،فكان صلح اميان والاصلاحات وسيلة لتعزيز الجبهة الداخلية كمرحلة تمهد للفتح والتوسع

المحاضرة الرابعة

حروب الامبراطورية النابليونية: 1805-1815

لم يستمر صلح اميان بين فرنسا وبريطانيا طويلا واخذت العلاقة بينهما تزداد سوءا لاسيما بعد احتلال فرنسا لبعض الموانئ ذات الاهمية التجارية لبريطانيا في هولندا وايطاليا وسواحل هانوفر ، واخذ نابليون يعد العدة لغزو الجزيرة البريطانية وكانت خطته تقوم على اساس ابعاد الاسطول البريطاني عن بحر المانش والقيام بأنزال سريع على الشواطئ البريطانية بعد ان يقوم الاسطولان الفرنسي والاسباني باستدراج الاسطول البريطاني بعيدا عن الساحل البريطانية الا ان هذه الخطة فشلت عندما انتصر الاسطول البريطاني بقيادة نلسن على الاسطولين الفرنسي والاسباني في معركة (الطرف الاغر) بالقرب من السواحل الاسبانية في تشرين الاول 1805 وهكذا انهارت احلام نابليون في غزو بريطانيا وعادت سيادة الاسطول البريطاني كما كانت عليه من قبل.

وكانت بريطانيا قد اقنعت النمسا وروسيا بالدخول في حلف معها ضد نابليون عرف ب التحالف الاوربي الثالث الذي ضم اسبانيا لانه كان عالما بخفايا علاقة الملكة الاسبانية بوزيرها فاستغل نابليون ذلك وفرض على اسبانيا مبلغا سنويا كبيرا من المال يدفع للخزينة الفرنسية وعقد معاهدة تنازلت بموجبها عن لويزيانا في امريكا الى فرنسا.
وقبل محاولة غزو بريطانيا، أمر نابليون جيشه المتمركز بشمال فرنسا بالزحف سراً على النمسا، فأحاط الجيش الفرنسي بالقوات النمساوية التي كانت على وشك أن تُهاجم فرنسا، قاطعا بذلك خطوط التواصل بينها، وقد حققت قوات نابليون نصرا حاسما على القوات النمساوية في معركة" أولم" في 20 تشرين الاول عام1805
اتجهت الجيوش النمساوية المندحرة صوب الشرق للالتقاء مع الجيش الروسي القادم لنجدتها، هزم الجيش الفرنسي الجيشين النمساوي والروسي في واحدة من اشهر معارك التاريخ "معركة أوسترليتز"في عام 1805 وكانت نتيجة هذا الانتصار أن انتهت حرب التحالف الثالث، ثم توجه نابليون إلى مدينة فيينا عاصمة النمسا، اضطرت على اثرها النمسا الى توقيع معاهدة برسبورغ واعترفت بنابليون ملكا على ايطاليا واطلقت يد نابليون في المانيا وفقدت النمسا ثلث اراضيها وانسحبت النمسا من التحالف الاوربي الثالث.

التحالف الاوربي الرابع

تشكل التحالف الرابع لمحاربة فرنسا في سنة 1806، بعد هزيمة النمسا وروسيا في معركة أوسترليتز، وضمّ كل من:(بروسيا، روسيا، بريطانيا، ساكسونيا، السويد، وصقلية) وفي ذات السنة وقع خلاف بين نابليون وبروسيا اذ اعترضت بروسيا على دخول نابليون اراضيها لقتال النمساويين والروس وكانت ايضا طامعة بأراضي هانوفر التي وعدها بها نابليون الا انهم شعروا بضرورة قتال نابليون بعد ان علموا انه يفاوض البريطانيين سرا لإعادة هذه الاراضي اليهم، فتقدمت الجيوش الفرنسية بسرعة خاطفة وهزمت البروسين في "معركة ييينا" في عام 1806 واحتلت عاصمتهم برلين فانسحب

"فريدريك وليم الثالث" ملك بروسيا إلى ناحية الشرق كي ينضم لحليفته روسيا التي أرسلت جيشًا لنجدته.

فالتقى نابليون بالجيشين الروسي والبروسي معًا في معركة (فريدلاند)، في عام 1807 وبعد هذا النصر الحاسم، أبرم نابليون معاهدة عُرفت باسم "معاهدة تلست" ، فاقتسم بموجبها السلطة في أوروبا مع القيصر الروسي "ألكسندر الأول وتعهد نابليون بمساعدة روسيا لتحقيق مصالحها في فنلندة والدولة العثمانية مقابل اعتراف القيصر الروسي بكل التغيرات التي اجراها نابليون في الاراضي الالمانية " أما الثانية التي أُبرمت مع بروسيا، فقد اقتطع جزء من اراضيها وفرض عليها تعويضات حربية باهظة وتحديد قواتها المسلحة وهكذا انتهى التحالف الأوربي الرابع.

اما اهم اسباب انتصار نابليون في معاركه امام الجيوش الأوربية فيمكن اجمالها بمايلي:

1 –ضعف التحالفات الأوربية نتيجة الخلافات السياسية بين الدول الأوربية

2 –عدم وجود قيادة موحدة عسكرية للجيوش المتحالفة

3 –ايمان الجيش الفرنسي بانه يحمل رسالة سامية فضلا عن تناسقه وانضباطه العالي

4 –قوة الجبهة الداخلية في فرنسا.

5 –كان لذكاء نابليون وقدراته ومهارته العسكرية الفائقة وشعبيته الواسعة اثر كبير في الانتصارات الفرنسية.

الحصار القاري

لمّا أخضع نابليون أوروبا كلها تقريبًا لسيطرته وعجز عن بريطانيا، عمد إلى محاربتها اقتصاديًا. فحرّم على جميع الدول الأوروبية المتاجرة معها، عن طريق إصداره ل(مرسوم

برلين)، حرم بموجبه جميع أعمال التجارة كالاستيراد والتصدير مع بريطانيا كما حرم على السفن البريطانية الرسو في الموانئ الاوربية وستصادر بضائعها واعلنت كل من روسيا وبروسيا والنمسا والسويد والدنمارك التزامها بمراسيم الحصار القاري إلا أن هذه الحرب الاقتصادية لم يُكتب لها النجاح، إذ أن بريطانيا ردّت عليه بالمثل، فمنعت المتاجرة مع فرنسا، وضربت حصارًا على القارة الأوروبية، كذلك نشطت أعمال التهريب من وإلى بريطانيا، ولم يستطع ضبّاط الجمارك الفرنسيون أن يفعلوا شيئا لإيقافها، كما واجهت نابليون مشكلة عدم التزام بعض الدول الاوربية بالحصار ومنها البرتغال التي قرر نابليون مهاجمتها بالاتفاق مع اسبانيا فاحتلها بسهولة ثم قرر احتلال اسبانيا ايضا فابقى جيشه فيها بحجة الحلف القائم بين الدولتين، وأجبر ملكها "كارلوس الرابع" على التنازل عن العرش، وتوّج أخاه "جوزيف" ملكًا عليها في سنة 1808 الا ان هذه المسالة كانت بداية النهاية لنابليون فقد ثار عليه الشعب الاسباني الذي حصل على مساعدة بريطانيا ومن ثم تبعه شعب البرتغال في الثورة المسلحة وتمكن الثوار من تحقيق الانتصارات على القوات الفرنسية وكانت هذه الانتفاضة بداية لانتفاضات قومية في جميع انحاء اوربا ضد نابليون ادت الى فشل الحصار القاري.

عوامل الضعف في امبراطورية نابليون وسقوطها:

1 –بدايات الضعف

كانت معركة بايلن التي انهزم فيها الفرنسيون امام المقاومة الاسبانية في تموز 1808 وخروجهم من العاصمة مدريد تمثل الصدع الاول في امبراطورية نابليون حيث كان لها صدى واسع في اوربا شجع الدول الاوربية على التخلص من حكم نابليون .فعندما كان نابليون منهمكًا في إخضاع الثورة الإسبانية، قامت النمسا فجأة بفض تحالفها مع فرنسا

وبدعم من بريطانيا بعد ان تحالفت معها في التحالف الاوربي الخامس ، وذلك في شهر نيسان من عام 1809، وهبت للانقضاض على بونابرت بتحريض من بريطانيا، فاضطر نابليون إلى أن يترك إسبانيا ويقود الجيش الفرنسي ليقهر الجيش النمساوي في "معركة وگرام". توجه نابليون بعد انتصاره إلى مدينة فيينا، عاصمة النمسا، حيث أملى شروط الصلح ووقع مع النمساويين "معاهدة فيينا" في تشرين اول 1809، التي قضت بسلخ أجزاء مهمة أخرى من الإمبراطورية النمساوية المجرية وكانت انتصارات نابليون هذه المرة غاية في الصعوبة ولم يتمكن من التوغل في النمسا.

كما ان تذمر الشعوب الاوربية من الضائقة الاقتصادية التي كانت تعيشها نتيجة الحصار القاري ،فضلا عن مطالبات نابليون بالأموال اللازمة لحملاته العسكرية ، دفعها للتحرك من اجل التخلص من قيود ذلك الحصار.

2 –حملة روسيا ومعركة الامم:

بدأت العلاقات تتدهور بين نابليون وقيصر روسيا الكسندر الاول لأسباب منها عدم ايفاء نابليون بوعوده للقيصر الروسي بتحقيق مطامعه بالسيطرة على الاستانة ومضائق البسفور والدردنيل للوصول الى المياه الدافئة وكذلك فان الحصار القاري قد اضر بروسيا كثيرا باعتبارها بلدا زراعيا وبحاجة الى المواد الصناعية فاضطر القيصر الى السماح بدخول البضائع الانكليزية عام 1811 فاعتبر نابليون ذلك عملا عدائيا وخروجا على صلح تلست ثم طالب القيصر من نابليون بالتخلي عن تنظيماته في المانيا (اتحاد الراين) وان يجلو بجيوشه عن بروسيا فكان رد نابليون ان هيأ جيشا تعداده 700000مقاتل من مختلف القوميات الاوربية لغزو روسيا عام 1812 فانتصر على الجيش الروسي في معركة سمولنسك وانسحب الروس الى داخل اراضيهم الواسعة

وتبعهم نابليون حتى دخل موسكو فوجدها خالية من السكان وانتظر ان يعرض عليه القيصر الصلح لكنه لم يفعل وبعد شهر انسحب الجيش الفرنسي من موسكو بعد أن بلغت نابليون أنباء مقلقة عن اضطراب الأوضاع في فرنسا وخوفه من فقدان سلطته.

عانى الفرنسيون معاناة كبيرة أثناء انسحابهم وذاقوا الأمرّين، إذ تعاون برد الشتاء الروسي القارس حليف روسيا الصامد والمرض وهجمات الفلاحين القوقاز عليهم على إفناء الجيش فلم يسلم منه إلا عدد قليل حيث لم يصل منهم الا 100000 جندي.
ثم شكلت الدول الاوربية تحالفا جديد ضد نابليون عرف (بالتحالف الاوربي الخامس) وتكون (من بريطانيا روسيا وبروسيا النمسا) وقد واجه نابليون هذا التحالف بقوات قليلة الخبرة لان أغلبها كانوا شبابا صغار السن.
وفي تشرين الاول 1813م ، وقعت معركة (لا يبزك) أو ما يعرف بمعركة الامم ودامت اربعة ايام وانتهت بهزيمة نابليون وتراجعه الى داخل حدود فرنسا القديمة فتواصلت الجيوش الاوربية تقدمها واحتلت باريس في آذار 1814م حيث أعلن نابليون عن تنازله عن العرش وسافر الى جزيرة البا.

ثم عقدت معاهدة باريس الاولى في أيار 1814م والتي تم فيها أعادة النظام الملكي الى فرنسا بزعامة لويس الثاني عشر ولم تكن شروط هذه المعاهدة قاسية لان الحلفاء لم يرغبوا بإثارة الشعب الفرنسي ضد ال بوربون. ولم يراع لويس الثامن عشر مشاعر الشعب الفرنسي وعقائده الجديدة التي أنتجتها الثورة الفرنسية أذ وضع دستورا أعلن نفسة بموجبه ملكا وفق نظرية الحق الالهي ومنح النبلاء مناصب وامتيازات كبيرة وفرض الرقابة على الصحافة واعاد علم ال بوربون الابيض.

أما في المجال الاقتصادي فقط تأزمت الامور وانتشرت البطالة وصار الشعب يتمنى

عودة نابليون وكانت الدول المنتصرة قد فشلت في التوافق في مؤتمر فينيا عام1814م ، ودب الخلاف فيما بينها فشجعت هذه الاوضاع نابليون على العودة الى فرنسا فدخل باريس في أذار 1815م وعاد الى استلام الى السلطة بعد هروب لويس السادس عشر الى بلجيكا فسارعت الدول الاوربية الى نسيان خلافاتها لتجهيز حملة عسكرية لإسقاط نابليون وقد التقت هذه القوات مع الجيش الفرنسي في معركة واترلو الفاصلة في حزيران 1815م والتي انتهت بهزيمة نابليون وانتهى عهده الى الابد بنهاية المائة اليوم الأخيرة من حكمه حيث حملته الى منفاه في جزيرة (سانت هيلانة)والتي توفي فيها 1821م

أما الحلفاء فقد دخلوا باريس في تموز 1815 وفرضوا على فرنسا معاهدة باريس الثانية والتي نصت على أن تدفع فرنسا غرامة فرنسية واعيد جدودها الى حدود عام 1790 واعيد لويس الثامن عشر الى الحكم.

أسباب سقوط نابليون

ـ كان نابليون شديد الاعتماد على نفسه مؤمنا بذاته ولم يكن يثق بأقرب رجاله ولاتساع إمبراطورتيه فقد كان من الصعب عليه ادارتها بأكمل وجه.

–حمل نابيون الشعوب الخاضعة له أكثر من طاقتها حيث استنزفت حروبه الكثير من أموالها ورجالها كما أن طول فترة الحرب أدت الى تذمر الجيش الفرنسي وانعدام الحماسة لدية.

ـ كان للحصار القاري وما أفرزه من نتائج من العوامل المهمة في سقوط نابليون.

ـالانتفاضات القومية للشعوب القومية.

ـ عدم أهتمام نابليون في مشاعر الشعوب وتنصيب قاربه ملوكا عليه أدى الى سخط

هذه الشعوب عليه وسقوطه.

المحاضرة الخامسة

مؤتمر فيينا عام 1815م:

قرارات مؤتمر فيينا: انعقد مؤتمر فيينا وجمع الدول المنتصرة لإعادة ترتيب أوضاع القارة الأوربية ودعم الأنظمة المحافظة بها ما بين ايلول 1814 وإلى غاية حزيران عام 1815م، اذ اجتمع ملوك أوروبا ومعهم عشرات الوزراء والدبلوماسيين بفيينا بهدف إحقاق السلم داخل أوروبا بعد الاضطرابات التي خلفتها الثورة الفرنسية والحروب النابليونية، وقد هيمنت القوى الكبرى (بروسيا، روسيا، النمسا، بريطانيا) على أشغال المؤتمر بقيادة المستشار النمساوي مترنيخ، وكرست مقرراته المبادئ الآتية:

1-الشرعية: إعادة الأنظمة التقليدية التي كانت سائدة قبل الثورة الفرنسية.
2-التوازن الأوروبي: إعادة فرنسا إلى حدودها الدولية مقابل توسع الدول المنتصرة عليها.
3-التحالف المحافظ أو الحلف المقدس: وتألف من أربع دول هي: روسيا – بروسيا – النمسا – فرنسا.

وقد دأبت الدول الاوربية بعد فترة الحروب النابليونية الى تكوين عصبة دولية تنظم علاقات الشعوب المختلفة واقامة السلام دائم في اوروبا واقامة جهاز تحكيم لمنع اسباب الحرب ولكن هذه الجهود لم تلق الا نجاح يسير ، وقد دفع استقرار الاحوال في فرنسا وقيام انتفاضات وثورات في الدول الاوربية المتضررة من قرارات مؤتمر فيينا الى عقد سلسلة من المؤتمرات لمتابعة تطبيق قرارات مؤتمر فيينا.

الحلف المقدس 1815:

اقترح قيصر روسيا الاسكندر الاول في 26 ايلول 1815 تشكيل تحالف مقدس وفق تعاليم الدين المسيحي وان يتبادل الملوك المشورة والمعونة فيما بينهم لكن مشروع القيصر المتدين لم يلقى التاييد من باقي دول اوروبا لغموض فكرة تنظيم العلاقات الدولية انذاك وقد أثارت المحالفة المقدسة دهشة رجال السياسة ورجال الدين على السواء، وعلى سبيل المثال فقد وصفها"مترنيخ" بأنها: "طبل أجوف وفيض من عواطف التقى والورع التي تجيش في صدر القيصر إسكندر"، كما وصفها "كاسلريه "وزير خارجية إنكلترا بأنها "تمثِّل خليطا (من الصوفية والكلام الفارغ" وقد امتنعت بريطانيا عن التوقيع على الحلف المقدس بدعوى أن الدستور يمنع الملك أو الوصي على العرش من ذلك وبذلك قتلت الفكرة في مهدها دون ان تعمل أي فرصة لتنفيذها ، وفي المقابل فقد انضمت دول عديدة إلى المحالفة مراعاة لشعور الإسكندر، كما انضمت إليها فرنسا في محاولة للخروج من عزلتها وظهر ان قيصر روسيا قد اصدر هذا الحلف لهوى في نفسه وقدم له بمظهر ديني تصوفي مدعيا انه يريد ان يطبق المبادئ المسيحية على ما يدور في اوروبا من امور سياسية بهدف خلق ضمير سياسي بين حكام القارة وان تسود روح الاخوة بينهم في اتصالاتهم ولكن وزير خارجية بريطانيا اعتبر ذلك مظهرا زائفا يكسوه لباس التصوف البراق وبذلك فشل هذا الحلف.

مؤتمر اكس لاشابيل ايلول 1818

عقدت الدول الأربع الكبرى (إنجلترا، والنمسا،، وروسيا، وبروسيا) هذا المؤتمر في ايلول عام 1818 والهدف الاساس من عقد هذا المؤتمر مناقشة العقوبات التي فرضتها معاهدة باريس الثانية على فرنسا ذلك لانها اظهرت تقييداً لمقدرات مؤتمر فينا ورغبة واضحة في السلام وحفظ التوازن الدولي وتمسك بالنظم التقليدية الملكية كما ان لظهور أفكار ثورية مناهضة للحكم الإستبدادي القائم دفع حكام الدول الاستبدادية الى مقاومة هذه الحركات الثورية التي تهدد استقرار الأنظمة الإستبدادية القائمة،. وقد اجتمع في اكس لاشابيل (وهي احد مدن وستفاليا في المانيا امبراطور النمسا يرافقه وزير

الخارجية مترنيخ وقيصر روسيا الاسكندر الاول وفردريك وليم الثالث ملك الدولة المضيفة بروسيا وقام بتمثيل بريطانيا وزير خارجيتها كاسلريه وعن فرنسا ريشيليو رئيس وزرائها وقد وافق المندوبون عن الجلاء عن الاراضي الفرنسية قبل نهاية شهر تشرين الثاني 1818 على ان تقوم فرنسا بدفع جميع ما تبقى عليها من تعويضات وغرامات مرة واحدة

و أهم قراراته ما يلي:

1-حل لجنة المراقبة الدولية، و سحب جيوش الحلفاء من الأراضي الفرنسية المحتلة بعد أن دفعت فرنسا التعويضات المقررة عليها إلى الحلفاء.

2-السماح لفرنسا بالانضمام إلى الحلف الرباعي الذي تحول إلى حلف خماسي.

3-أقر المؤتمر إلغاء تجارة الرقيق و ذلك باقتراح من بريطانيا(كاسلريه) لكن رغم التحالفات والمؤتمرات التي عقدت ب هدف وضع حد للتيار الحر المتصاعد بأوروبا إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل أمام رغبة الشعوب في الحرية واندلعت نتيجة تطور الوعي عدة ثورات تستهدف القضاء على الحكم الأجنبي وعلى النظام الاستبدادي.

مؤتمر تروباو (تشرين الثاني 1820)

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين في إكس لاشابيل إنشاء تحالف أوروبي عام تُخول بمقتضاه القوى الكبرى حقَّ التدخُّل لقمع أية ثورة تندلع في مواجهة أي من العروش الأوروبية، غير أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض من جانب القوى الأربع الأخرى ولا سيما إنجلترا؛ اذ كان "كاسلريه" يؤكِّد دوما رفض بلاده لمبدأ التدخُّل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ومع اندلاع الثورة في إسبانيا وقيام النظام الدستوري بها في كانون الثاني 1820 أصاب الخوف القيصر الروسي اذ خشي إسكندر الأول من انتقال عدوى الثورة إلى بلاده لا سيما وأنها كانت تعيش في ظروف مماثلة لتلك

التي كانت سائدة في إسبانيا عشية الثورة ومن هنا فقد هب القيصر إسكندر الأول مطالبا بعقد مؤتمر يضم سائر ملوك أوروبا لاستنكار المستجدات التي شهدها الصعيد الإسباني، والمطالبة بالتدخُّل لإلغاء الدستور الإسباني ولو بقوة السلاح، غير أن "كاسلريه"أعلن – أيضا هذه المرة– رفض بلاده لمبدأ التدخُّل بالقوة في الشئون الداخلية للدول الأخرى وأضاف "كاسلريه" أنه يعتبر الثورة الإسبانية مسألة داخلية لا تشكِّل خطرا على البلاد الأخرى؛ وبالتالي فانه لا يرى مبررا لتأييد إنجلترا أية محاولة لقمع تلك الثورة بالقوة، كما أوضح "كاسلريه "لدبلوماسيي أوروبا أن إنجلترا تدين بأسرتها المالكة الحالية ودستورها لثورة داخلية، وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تنكر على البلاد الأخرى هذا الحق نفسه في تغيير شكل حكوماتها.

أما بصدد الموقف النمساوي من مبدأ التدخُّل فإن"مترنيخ" كان في بداية الأمر يرفض هذا المبدأ، غير أنه عاد ووافق على المبدأ غداة اندلاع الثورة في نابولي في تموز 1820 ، أما فرنسا فقد كانت ترفض مبدأ التدخُّل شأنها في ذلك شأن إنجلترا، وعلى ذلك فقد تعددت اجتماعات ممثلي الأوتوقراطيات الثلاث الكبرى الأخرى (النمسا – روسيا – بروسيا) اذ أسفرت هذه الاجتماعات عن عقد بروتوكول تروباو، الذي تم التوقيع عليه في 19 تشرين ثاني1820 ، وفي حين رفضت إنجلترا التوقيع على هذا البروتوكول انضمت إليه فرنسا؛ خشية العزلة وهكذا فقد أقرت القوى الأربع الموقِّعة على بروتوكول تروباو (النمسا – روسيا – بروسيا – فرنسا) مبدأ التدخُّل لقمع الثورات وحماية العروش، كما اتَّفقت هذه القوى–بمقتضى البروتوكول ذاته– على استبعاد أية دولة طرف في الحلف منه إذا ما اندلعت فيها ثورة أحدثت تغييرا في نظامها السياسي الداخلي، كما أنه يحقُّ للحلفاء التدخُّل لإعادة هذه الدولة إلى حظيرة التحالف بالوسائل الودية ،فإن لم تفلح هذه الوسائل في بلوغ هدفها لجأ الحلفاء إلى القوة.

مؤتمر لايباخ كانون الثاني 1821

كان المؤتمرون في تروباو قد اتَّفقوا على عقد مؤتمرفي ليباخ؛ بغية الاتفاق على الإجراءات الكفيلة بتنفيذ مقررات تروباو فيما يتَّصل بالمسألة الإيطالية، وبالفعل فقد عقِدَ مؤتمر لايباخ بدءا من كانون الثاني عام 1821 وحضره إمبراطور النمسا وقيصر روسيا و"مترنيخ" و"فرديناند الأول" ملك نابولي، اذ تم الاتفاق على إلغاء دستور نابولي، وأُنِيط بالنمسا مهمة تنفيذ هذا الإلغاء بالقوة العسكرية وهكذا فقد تحقق للنمسا ما كانت تصبو إليه؛ فتحت غطاء التكليف الأوروبي اذ اخذ الجيش النمساوي يتدخَّل في نابولي – مع نهاية شباط 1821 – اذ تمكَّن من إخماد الثورة الدستورية، وإعادة سلطة "فرديناند الأول"المطَلقة .

وقبل أن يختتم المؤتمرون في لايباخ أعمال مؤتمرهم استنجد بهم ملك سردينيا ضد رعاياه الثائرين فسارعت النمسا بإرسال جيشها لإخماد الثورة في بيدمونت، وإعادة النظام القديم إلى سردينيا.

يبقى أن نشير إلى أن مؤتمر لايباخ قد انفض في ايار1821 اذ أصدر بيانًا ختاميا جاء فيه: "إن الهدف من التحالف الأوروبي إنما هو تأييد المعاهدات القائمة، والمحافظة على السلام العام وتحقيق سعادة الأمم، وأن التغييرات التشريعية والإدارية داخل الدول يجب أن تأتي من جانب أولئك الذين أعطاهم الله مسؤولية الحكم في هذه الدول."

وهكذا يكون مؤتمر لايباخ قد أكَّد على مبدأين رئيسيين أعلن المؤتمرون تمسكهم بهما، ويتمثَّل هذان المبدآن في:

1 –مبدأ شرعية تدخُّل الكبار لإخماد الثورات الدستورية وحماية العروش داخل كافَّة الدول الأوروبية، وهو المبدأ الذي بمقتضاه سمِحَ للنمسا بإخماد الحركات الثورية الدستورية في الأراضي الإيطالية.

2 –مبدأ الحق الإلهي للعروش في تقرير مصائر الشعوب، وهو المبدأ الذي ورد بارزا في البيان الختامي لمؤتمر لايباخ، والذي جاء فيه أن أية تغييرات تشريعية أو إدارية

داخل أية دولة هي بيد ملكها، وملكها وحده.
ونظرا لارتباط المؤتمرين في لايباخ بهذين المبدأين فقد أعلنت الحكومة الإنكليزية استنكارها لمقررات المؤتمر، وعدم اعترافها به، وتنصلها من تبعاته.

مؤتمر فيرونا تشرين الاول 1822

حضر هذا المؤتمر كلٌّ من إمبراطور النمسا، وقيصر روسيا، وملوك بروسيا وسردينيا ونابولي، فضلا عن "مترنيخ"، ووزير خارجية فرنسا، وممثِّلين لإنجلترا، ولقد انصب اهتمام المؤتمر على مناقشة المسألة الإسبانية، ففي 30 تشرين الاول 1822 قرر المؤتمر التدخُّل المسلَّح في شؤون إسبانيا برغم رفض إنجلترا لهذا العمل، وتأكيد ممثِّليها رفض بلدهما لمبدأ التدخُّل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.
غير أن أعضاء المؤتمر فشلوا في أن يتدخَّلوا جماعيا لإخماد الثورة الإسبانية ،وإذا ب "فرنسا" تقرر أن تتدخَّل منفردة في إسبانيا، ويعود إقدام فرنسا على هذا الإجراء إلى اعتبارات تتعلَّق بسياستها الداخلية، ذلك بأن الملكية الفرنسية العائدة إلى العرش كانت في حاجة إلى انتصارات عسكرية لتحل صورتها في أذهان الشعب الفرنسي محلَّ صور الانتصارات النابليونية.

على أية حال فقد كان انتصار الجيش الفرنسي في إسبانيا أمرا ميسورا إذ سرعان ما تمت الإطاحة بالنظام الثوري، وإعادة الملك الإسباني إلى عرشه ، ولم يكتفِ الفرنسيون بذلك وإنما أعلنوا عزمهم على التدخُّل لإخماد الثورات في المستعمرات الإسبانية في العالم الجديد، غير أن انجلترا وقفت ل "فرنسا" بالمرصاد، وأعلن الإنجليز تصميمهم على استخدام القوة في مواجهة الجيوش الفرنسية إن هي حاولت عبور الأطلسي، والتدخُّل في شؤون أمريكا الجنوبية والحق أن هذا الموقف الإنجليزي المتشدد من فرنسا بصدد المسألة الإسبانية إنما كان لسببين، أولهما أن الإنجليز كانوا يرفضون مبدأ التدخُّل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وهو المبدأ الذي كان وزير الخارجية

الإنجليزي الجديد كاننج أشد من سلفه المنتحر "كاسلريه" تمسكا به، أما السبب الثاني وراء الاستياء الإنجليزي من الموقف الفرنسي بصدد المسألة الإسبانية فيتمثَّل في أن مستعمرات إسبانيا في العالم الجديد كانت تربطها بإنجلترا علاقات تجارية عظيمة الشأن.

فضلا عن رفض إنجلترا فكرة تدخُّل فرنسا في المستعمرات الإسبانية كانت الولايات المتَّحدة الأمريكية قد أكَّدت هي الأخرى رفضها التام لتدخل أية دولة أوروبية في شؤون العالم الجديد، وقد تمت صياغة هذا الموقف الأمريكي بمقتضى مبدأ "مونرو. "

روسيا منذ حكم الاسكندر الاول حتى نهاية حكم الاسكندر الثالث (1801-1894)

على الرغم من أن ال إمبراطورية الروسية ادت دوراً قياديًا هامًا في سياسية القرن التاسع عشر، بفعل هزيمة الإمبراطورية الفرنسية والقضاء على نابليون راسم الخريطة الجغرافية والسياسية الأوروبية، إلا أن الإبقاء على نظام الاستعباد حال دون أي تقدم اقتصادي ملحوظ وفي الفترة التي أخذت دول أوروبا الغربية تحقق خلالها نمواً اقتصاديًا مطرداً بفعل الثورة الصناعية، التي كانت قد بدأت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أخذت روسيا تظهر تخلفًا وتراجعًا أكثر من أي وقت مضى، الأمر الذي خلق لها مشاكل جديدة، وهدد مركزها كقوة عظمى، نتيجة عدم كفاءة حكومتها، وعزلتها عن الشعب، وتخلفها الاقتصادي الا انه رغم ذلك فقد جرت محاولات للإصلاح في عهد الكسندر الاول ، واقتربت روسيا اقترابا كبيرا من المدينة الاوربية خلال القرن التاسع عشر وحاولت رغم تأخرها ان تتحين الفرص لإجراء الاصلاح وتفتح ذراعها لتلقي التطور , ثم صارت هي بدورها تقوم بقسط وافر من الانتاج في حقول الادب والموسيقى والاجتماع .

1 –الكسندر الاول وسياسة روسيا الداخلية والخارجية:

تولى الكسندر الاول مقاليد الحكم بعد يوم واحد من اغتيال والده في سنة 1801 م وكان حاكما محبوبا وله جماهيرية وحضور في أوساط الشعب بسبب أفكاره الليبرالية التحررية واهتمامه بطبقة الفلاحين كما أنه أسس نظاما تعليميا شاملا وناهض القنانة (عبودية الأرض) لكنه لم يكن قادرا على الغائها وكانت اغلبية الفلاحين لاتزال مستعبدة جاهلة لا تفرق حالتها عن حالت الفلاح الانكليزي او الفرنسي.

وفي عهد الكسندر الأول ترافقت محاولات تحديث الدولة الروسية مع تضخم الجهاز الإداري للدولة وإحلال النظام البوليسي في البلاد. وفي عام 1822 أصدر مرسوما بمنع نشاط المحافل الماسونية بعد أن أصبحت منظمة شبه حكومية في البلاد بفضل دعمه الشخصي لها، كما نص المرسوم على حظر نشاط الجمعيات السرية الأخرى، ولم يتسن له طيلة حكمه تذليل مشاكل البلاد عن طريق إجراء الإصلاحات فقد بقيت معظم القضايا السياسية والاجتماعية في روسيا بدون حل.

وفي عهده ايضا تمّ السماح باستيراد الكتب من أوروبا وإنشاء مطابع خاصة، كما أُسّس مجلس الشيوخ الذي كان بمثابة هيئة رقابية وقضائية في منظومة إدارة الدولة، كما تم تكليف أحد كبار المسؤولين (نيكولاي نوفوسيلتسيف) بإعداد مسودة الدستور الروسي ولكن بعد الانتهاء من إعداد هذا الدستور تقرر تأجيل إصداره.

كان الاسكندر الاول يعين الوزراء ويطردهم متى يشاء ويأمر بالقاء القبض او السجن او ينفي او يعدم من يريد دون ان يستشير احد وكانت له السلطة الشخصية حتى على الكنيسة الروسية القديمة نفسها وكان يؤمن بالافكار الحرة في شبابه ولكنه بعد ان عاد من مؤتمر فينا اخذ يطرد الامراء من مستشاريه ويكره كل شيء جديد ويسمح لموظفيه بفعل كل ما يرونه لازما للقضاء على الاراء الحرة التي ناصرها شابا وحاربها كهلا ، فشدد الرقابة على الصحف حتى خنق الجرائد الحرة ،وطرد اساتذة العلوم الحديثة من الجامعات.

اما سياسته الخارجية فقد كانت معتدلة وحاول اقامة علاقة صداقة مع فرنسا وبريطانيا لكنه أعلن الحرب على نابليون سنة 1804 م ودفع الغزو الفرنسي لروسيا عام 1812 م المعارضة إلى الالتحاق بالقوات الثورية في النهاية عمل ألكسندر مع حلفاءه على هزيمة نابليون وهذا ما تم له في مؤتمر فيينا عام 1815 م.

اذ رجع القيصر اسكندر الاول من مؤتمر فينا الى عاصمته بطرسبورغ وهو يتباهى بكبرياء وعظمة فقد اشترك في اسقاط نابليون ونجح في تكوين اتحاد مقدس بين ملوك اوربا وصار يحكم نصف القارة الاوربية بنفسه ، اما العناصر الداخلية في امبراطوريته هذه فكانت مختلفة متباينة في لغاتها وآدابها وتقاليدها ، فمنهم الفنلنديون والالمان والبولنديون واليهود التتر والارمن والمغول وغيرهم

ان العنصر الروسي نفسه امتد حتى استولى على سهول روسيا الأوربية و الجنوبية وانتشر نحو الشمال الشرقي حتى وصل سيبيريا وكون كتلة كبيرة من سكان الامبراطورية الواسعة فكانت اللغة الروسية تدرس في المدارس وتستعمل في دوائر الحكومة ، وكان اهل دوقية فنلندا العظمى يكرهون الخضوع لسيدتهم روسيا ، كما كان البولونيون ينظرون الى اليوم الذي يتخلصون فيه من الاستعمار الروسي ويكونون دولة مستقلة لها دستورها ولغتها، توفي بعدها بعشر سنين وخلفه شقيقه القيصر نيكولاي الأول.

2 –نيقولا الاول (1825– 1855)

اعلن نيقولاي نفسه امبراطورا في كانون الاول عام 1825، وقد استهلّ عمله بالقضاء على الثورة، وإعدام خمسة من قادتها، ونفي الآخرين إلى سيبريا، أو إيداعهم السجن. ولم ينس نيقولا الاول الذي خلف اسكندر الاول الثورة التي كانت فاتحة عهده بالملك لذلك عمل على ان لا يترك مجالا للحرية وان يحكم بكل شدة وطغيان فكان من اظلم الملوك الذين ورد ذكرهم في تاريخ روسيا .

أ- اصلاحاته الداخلية:

اهتم نيقولا الأوّل بالجيش حتى استهلك نحو 40% من الموازنة، ، وحاول إدارة روسيا كما لو كانت وحدة عسكرية وعلى الرغم من أنّ حرية الفكر كانت منتشرة بشكل واسع، فقد عمل منذ عام 1826م على تأسيس «الفرع الثالث» الخاص بمكتب القيصر من أجل القضاء على الحركة الثورية، والمعارضة الجماهيرية، وملاحقة الأفكار التقدمية المتزايدة للمثقفين وأنشأ شرطة سريّة لمنع أي نشاط معادٍ للحكومة وعزّز الجهاز العسكري البيروقراطي، وركّز السلطات في يده، ووضع الصحف تحت الرقابة، واضطهد الكتّاب الروس، وسيطر على الجامعات، وطالب الجميع بالولاء للقيصر والكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية والأمة الروسية فعرف بحكمه القاسي، وتميّز عهده بالتنكيل الدموي للحركات المطالبة بالحرية، وحركات الاستقلال في المناطق البعيدة، ومطاردة اليهود، فكانت ضحايا حكمه الاستبدادي كثيرة، وحَكَمَ على كثير منهم بالنفي والأعمال الشاقة. وفي عهده تفاقمت أزمة نظام الرق الإقطاعي لكنه بالمقابل أدخل العديد من الإصلاحات والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ففي عهده صدرت أوّل مجموعة قانونية روسية حديثة عام 1835م، وتمّت الموافقة على تحسين مستوى حياة الفلاحين العاملين في أراضي الدولة، مع الإشارة إلى واجباتهم، وعمل على إصلاح إدارة الدولة، ومع أنه كان حريصاً على عدم مسِّ مصالح طبقة النبلاء (الأشراف) بأذى، لا بل كان اتجاهه الأساسي في إدارة الحكم هو حرصه على ترسيخ دولة النبلاء الإقطاعيين، فإن تطور النظام الرأسمالي وضغط البرجوازية الناشئة، دفعته إلى التساهل والنزول عن كثير لمصلحة طبقة الصنّاع والتجّار (البرجوازية)، ففي سنة 1828م أنشأ مجلس مصانع النسيج، وافتتح معهداً تقنياً لتجهيز فنيين مختصين، نظموا فيما بعد معارض صناعية، ووافق على بناء سكة حديد روسيا.

ب- سياسته الخارجية :

ركزت سياسة روسيا الخارجية في عهده على ثلاثة محاور: محاربة الدولة العثمانية، وقمع الحركات الثورية في أوربا، وتوسيع الإمبراطورية الروسية.

حاول نيقولا زيادة قوة روسيا في آسيا وجنوب شرقي أوروبا وخاضت روسيا في عهده عدة حروب ضد الدولة العثمانية، أوّلها: بين عامي 1828– 1829م حيث تمكنت الامبراطورية الروسية في عهد نيقولا الاول من إضعاف مواقع الدولة العثمانية في الحرب الروسية التركية 1828–1829 التي أسفرت عن الزام السلطان العثماني بالاعتراف باستقلال اليونان وبمنح الحكم الذاتي لصربيا. واعلنت روسيا نفسها راعية لرعايا السلطان المسيحيين ، وثانيتها: حرب القرم بين عامي 1853– 1856م. وفي كلتا الحربين تدخلت الدول الغربية وخاصة بريطانيا وفرنسا إلى جانب الأتراك لمنع روسيا من القضاء على الدولة العثمانية، وعدم السماح لها بالوصول إلى البحر المتوسط وتهديد مصالحهم، وفوق هذا كانت روسيا تدعم وتساند حركات التحرر الوطني في البلقان ضد السلطنة العثمانية.

اتسم نيقولاي الاول بمقاومته لروح التغيرات في اوروبا، لذا فانه قمع الثورتين البولندية عام 1831 والمجرية عام 1848 بكل شدة وكانت بولندا عندئذ جزءًا من الإمبراطورية الروسية الواسعة، وألغى الحكم الذاتي البولندي وتقسيم البلاد الى محافظات.

واستعد نيقولاي في مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر لتوجيه ضربة قاسية اخيرة الى الدولة العثمانية. وأثارت نجاحات روسيا العسكرية الاستياء لدى الغرب الذي لم يرغب في زيادة نفوذ روسيا في الشرق على حساب الدولة العثمانية المنهارة، مما شكل أساسا لتشكيل التحالف بين بريطانيا وفرنسا، وادت سياسة وزير الخارجية الروسي نيسيلرودي الى عزلة روسيا على الصعيد الدولي، ودخلت بريطانيا وفرنسا عام 1854 في الحرب ضد روسيا الى جانب الدولة العثمانية وقامتا بالأنزال البحري في شبه جزيرة القرم وحاصرتا مدينة سواستوبول.

المحاضرة السابعة

الكسندر الثاني

تولى العرش في 19شباط عام 1855 بعد وفاة أبيه نيقولاي الأول في حرب القرم (1856 – 1853) التي كشفت ضعف روسيا من الناحية العسكرية والاقتصادية.

عقد ألكسندر الثاني في 18 مارس عام 1856 اتفاقية السلام مع كل من بريطانيا وفرنسا وتركيا. ومن أول مراسيمه الامبراطورية كان مرسوم العفو عن ثوار ديسمبر الذين شاركوا في التمرد على أبيه نيقولاي الأول. وقام بالكثير من الإصلاحات الجذرية في مختلف مجالات حياة روسيا مثل تطبيق نظام محكمة المحلفين والاصلاح في مجالي ادارة الدولة والتعليم، والأهم من ذلك هو الغاء نظام القنانة بين الفلاحين الروس عام 1864. كما طبق الكسندر الثاني نظاماً يسمح بوجود نظام محلي محدود للادارة الذاتية يسمى ب" زمستفو "وقام بتطوير الجيش الروسي واصلاحه.

حاول ألكسندر الثاني إقامة علاقات جيدة مع فرنسا وأجرى محادثات بهذا الصدد عام 1867 مع نابليون الثالث .ولكن بعد سقوط الامبراطورية الثانية في فرنسا عام 1870 حول ناظريه إلى ألمانيا والنمسا. وانضم عام 1872 إلى الاتحاد الثلاثي) ألمانيا والنمسا وروسيا) الذي أصبح حجر الزاوية للسياسة الخارجية الروسية حتى توقيع الاتفاقية الروسية الفرنسية 1893.

أدت سياسة تركيا في البلقان الى نشوب الحرب الروسية التركية (1877 – 1878(التي انتهت بانتصار روسيا وإلغاء كافة القيود المفروضة على روسيا نتيجة الهزيمة في حرب القرم.

الحرب الروسية العثمانية 1877-1878

بدأت الحرب الروسية العثمانية بعد إعلان الإمبراطورية الروسية الحرب على الدولة العثمانية مع بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني إثر رفض العثمانيين السماح لروسيا بالتدخل في الشؤون الداخلية عن طريق الأقليات المسيحية في الشرق كان الهدف الرئيسي من الحرب هو القضاء على الوجود العثماني نهائياً في أوربا و دعم حركات الإنفصال و التمرد التي حركتها روسيا في البلقان أو القوقاز بدعوى القومية أو الرابطة الدينية و كانت نتيجة الحرب كارثية على الدولة العثمانية خسارة 85% من أراضيها الأوربية و تشكل دول جديدة مثل بلغاريا و وصول الخطر الروسي إلى أبواب العاصمة إسطنبول نفسها لولا سياسة السلطان عبد الحميد الذي استطاع اللعب على توازنات و مصالح القوى الكبرى و تمكن من خلال مؤتمر برلين الذي تلا الحرب من رد الخطر الروسي عن كيان الدولة و إيقاف الزحف الروسي ..

أسباب الحرب

1. قمع العثمانيين الثورة بأقسى أساليب الشدة محدثتا مجازر على يد فرسان غير نظاميين
2. غضب الرأي العام الأوروبي بسب المجازر التي قام بهاالعثمانين
3. اعتبار روسيا نفسها المسؤولة عن الأرثوذكس المسيحيين وعن الشعب ألسلافي
4. رغبة روسيا في تقسيم الدولة العثمانية العداء التقليدي
5. محاولة روسيا للوصول إلى المضايق والبحار فوجدت الفرصة متاحة

6- الآمال الروسية باسترداد الخسائر الإقليمية التى تكبدتها خلال حرب القرم، وإعادة تأسيس نفسها في البحر الأسود ودعم الحركات الانفصالية القومية بدول البلقان للاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية.

سير الحرب

نشبت الحرب سنة 1877 بثورة ضد الدولة العثمانية في البوسنة والهرسك والجبل الأسود وبلغاريا فقامت الدولة العثمانية بقمع هذه الثورة بأقسى الأساليب فنتج عن ذلك مجازر ووصلت الأخبار ألى القارة الأوروبية فخرج الرأي العام الأوروبي إلى الشوارع مطالبين الدول الأوروبية بوقف هذه المجازر فاستغلت روسيا هذه الفرصة وتدخلت عسكريا بحجة الدفاع المسيحيين الأرثوذكس والسلافيين فتقدمت الجيوش الروسية فاحتلت مناطق القفاز من الشرق واقتربت من الشرق حتى وصلت مشارف نهر الدانوب ووصلت إلى ادرنة بالقرب من اسطنبول فوقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عاجز أمام التقدم الروسي فاطر إلى التوقيع على صلح سان ستيفانو في آذار 1878 وقد نص على ما يلي.

قرارات صلح سان ستيفانو

1. تحصل رومانيا صربيا والجبل الأسود على استقلالها التام من الدولة العثمانية
2. فتح المضايق أمام الأسطول الروسي
3. إنشاء دولة بلغاريا على أراضي واسعة وتحصل على استقلال ذاتي
4. استيلاء روسيا على كل شواطئ البحر الأسود الشرقي
5. تدفع الدولة العثمانية تعويضات على كل الخسائر الروسية في الحرب

بعد عقد هذه الاتفاقية أصبح التوسع الروسي يشكل خطرا على المصالح البريطانية والفرنسية فدعت هذه الدول إلى عقد مؤتمر دولي لبحث الخطر الروسي فتم الاتفاق على عقد **مؤتمر برلين سنة 1878** لوضع حد لتوسع الروسي ولإفشال اتفاقية مؤتمر

سان ستيفانو فدعيت إلى المؤتمر الدول الكبرى (فرنسا بريطانيا ايطاليا ألمانيا النمسا روسيا) ففي هذا المؤتمر أصدرت الدول قرارات ألغت قرارات مؤتمر سان ستيفانو التي تصب في مصلحة روسيا وهي

قرارات مؤتمر برلين

1. تأكيد استقلال رومانيا وصربيا والجبل الأسود استقلالا كليا
2. تقليص مساحة بلغاريا بهدف إبعادها عن المضايق من خلال اقتطاع إقليم الروملي الشرقي ومنحه استقلالا ذاتيا
3. ترجع روسيا عن ارمينيا الشرقية حتى ميناء باطوم على البحر الأسود
4. وضع إمارتي البوسنة والهرسك تحت إدارة النمسا على أن تبقيا تابعتين للدولة العثمانية
5. إغلاق المضايق في وجه السفن الحربية لجميع الدول

وبهذه المعاهدة استطاعة بريطانيا وفرنسا حرمان روسيا من تحقيق أطماعها في الدولة العثمانية.

وانتهى ألكسندر الثاني من ضم القوقاز الى روسيا. ووسعت روسيا في عهده نفوذها في الشرق، حيث ضمت اقليم تركستان واقليم نهر آمور في الشرق الأقصى وجزر كوريل والقسم الجنوبي لجزيرة سخالين.

أيد الكسندر الثاني إبان الحرب الأهلية الأمريكية حكومة الولايات المتحدة بغض النظر عن طموحات كل من فرنسا وبريطانيا. وأقدم على بيع اقليم ألاسكا وجزر أليوت في شمال شرق أمريكا الشمالية للولايات المتحدة.

قيصر روسيا بدأ حكمه بمحاولة التوصل إلى طرق ليبرالية لدمج اليهود وبالفعل، شهد عهده ظهور حركة التنوير بين يهود روسيا وتَزايُد معدلات العلمنة والاندماج بينهم ولكن، بدأت تتضح في نهاية عصره أزمة النظام القيصري، كما ظهرت الاستجابات اليهودية المختلفة لأزمة اليهودية واليهود، وبدأت أعداد متزايدة من الشباب اليهودي تنخرط في الحركات الثورية وقامت جماعة إرهابية شعبوية، بينها فتاة يهودية ملحدة، باغتياله.

شهد عهد ألكسندر الثاني نمو الحركة الثورية في روسيا على الرغم من الاصلاحات الواسعة التي أجراها في شتى المجالات ورغبته في الحد من الحكم القيصري واعتماد الدستور في روسيا. وتعرض الامبراطور ألكسندر الثاني لعدد من محاولات الاغتيال. وانتهى احداها باغتياله على يد عضو في تنظيم "ارادة الشعب" الارهابي في 1 مارس عام 1881.

ألكسندر الثالث

تربع ألكسندر الثالث على العرش الروسي في 2 اذار عام 1881 بعد اغتيال أبيه ألكسندر الثاني على ايدي ارهابيين, وكان أبوه ألكسندر الثاني قبل اغتياله قد استحسن مشروع الدستور الذي وضعه الكونت لوريس ميليكوف والذي قضى بتحديد قيود على الحكم القيصري المطلق ومشاركة ممثلي الحكم الذاتي المحلي (زيمستفا) في ادارة الدولة, لكن الامبراطور الجديد أقال، وبضغط من معلمه بوبيدونوستسيف، كل من له علاقة بمشروع الدستور واتخذ الاجراءات الرامية الى الحفاظ على النظام والهدوء الاجتماعي، بما فيها منح الشرطة في المحافظات العشر حق التصرف دون ان تخضع لاوامر السلطة المحلية والمحاكم والنيابة العامة, كما منحت السلطات في الاقاليم حق

تهجير الاشخاص غير المرغوب بهم واغلاق المؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام والمؤسسات الصناعية والتجارية، الامر الذي كان يعني في واقع الامر فرض الاحكام العرفية التي ضلت سارية المفعول في روسيا لغاية عام 1917 بالرغم من ان اعلان تلك الاجراءات كان مؤقتا.

وفي الوقت نفسه تم اعتماد بعض القوانين التي من شأنها تحسين الوضع الصعب الذي كان الفلاحون الروس يواجهونه بعد اصلاح عام 1861 والغاء نظام القنانة في روسيا، بما فيها تأسيس مصرف الفلاحين لعموم روسيا ومنح الفلاحين سلف مالية وتمكينهم من شراء العقارات, فيما تم تشديد الرقابة على الفلاحين، وشهد اصلاح المحكمة تراجعا, وضم قانون مؤسسات الزيمستفا (الحكم الذاتي) الجديد احكاما تزيد من نسبة تمثيل النبلاء ومالكي العقارات في ادارتها وتم إلغاء استقلال الجامعات وتم اخضاع المدارس الابتدائية لادارة الكنيسة الارثوذكسية الروسية وفرضت الحكومة قيودا على تمثيل اليهود في مؤسسات التعليم العالي (بنسبة لا تزيد عن 3% في جامعات العاصمتين) واتخذت الاجراءات الرامية الى تهجير بعضهم من المدن الكبرى الى اقاليم البلاد الغربية.

وعلى الصعيد الاقتصادي شهدت روسيا في عهد ألكسندر الثالث نموا اقتصاديا هائلا، وذلك بفضل تجاوز العجز الكبير في موازنة الدولة الذي كانت تواجهه البلاد في اعوام 1881 –1887 واتخذت خطوات بغية تحقيق عملية الاقراض الحكومي وجعل العملة الروسية قابلة للتداول فضلا عن إنجاز بعض المشاريع الحيوية الهامة وبالدرجة الاولى إنشاء السكك الحديدية في سيبيريا وغيرها من اقاليم روسيا.

وشهد حكم ألكسندر الثالث صنع 114 سفينة حربية جديدة، بما فيها 17 مدمرة مصفحة و10 طرادات وصارت القوات البحرية الروسية تحتل المرتبة الثالثة في العالم

بعد بريطانيا وفرنسا من حيث قدرة الاسطول الحربي البحري حين بلغت حمولته الاجمالية 300 ألف طن وكان ألكسندر الثالث يشدد دوما على ان "روسيا ليس لديها حلفاء الا جيشها واسطولها".

شهدت السياسة الخارجية في عهد الامبراطور ألكسندر الثالث مرحلة سلام لا مثيل لها في تاريخ روسيا ولم تكن روسيا في تلك الفترة تخوض ولا حربا واحدة.

وكانت السياسة الخارجية الروسية حينذاك ترمي الى تحقيق الاهداف التالية:

1 – تقوية نفوذ روسيا في منطقة البلقان

2 – البحث عن حلفاء موثوق بهم

3 – تثبيت الحدود في جنوب آسيا الوسطى

4 – الحفاظ على علاقات سلام مع الدول المحيطة بروسيا

5 – الترسخ على الاراضي الجديدة في الشرق الاقصى.

تدهورت في ثمانينات القرن التاسع عشر علاقات روسيا مع بريطانيا العظمى التي سعت الى بسط سيطرتها في كل من تركيا وآسيا الوسطى ومنطقة البلقان وذلك على خلفية سوء العلاقات بين ألمانيا وفرنسا اللتين كانت الحرب على وشك ان تقع بينهما وفي هذه الظروف باتت كل من فرنسا وألمانيا تسعى الى التقارب مع روسيا لتلقى دعما في حال اندلاع الحرب بينهما لكن مستشار المانيا بسمارك عقد اتفاقية ثلاثية مع كل من الامبراطورية النمساوية المجرية وإيطاليا ضد فرنسا وروسيا، الامر الذي جعل ألكسندر الثالث يبحث عن التقارب مع فرنسا التي رأت فيه طريقا وحيدا لتفادي الحرب مع ألمانيا وفي 28 تموز تم عقد الاتفاقية السياسية الاستراتيجية بين روسيا وفرنسا التي قضت بتقديم المساعدة المتبادلة في حال نشوب الحرب مع الامبراطورية النمساوية او ألمانيا او إيطاليا.

وتمكنت روسيا بمساعدة فرنسا من تجنب الاصطدام مع بريطانيا حين تم الاتفاق على تشكيل لجان عسكرية روسية بريطانية فرنسية مشتركة بغية ترسيم الحدود بين روسيا وافغانستان.

اما في الشرق الاقصى فسعت روسيا ايضا الى تجنب الحرب مع اليابان التي تحولت الى قوة ضخمة في هذه المنطقة من العالم فاصرت روسيا على حقها بالاحتفاظ بقواتها المسلحة في كوريا، الامر الذي جعلها تتنافس مع اليابان في المنطقة رغم ضعفها لانعدام طرق المواصلات. وبدأت روسيا في الوقت نفسه اي عام 1891 بإنشاء سكة حديدية طولها 7 آلاف كيلومتر بغية ربط قسمها الاوروبي بمنطقة الشرق الاقصى, وفي منطقة آسيا الوسطى استمر ألكسندر الثالث في اتباع النهج الرامي الى ضم القبائل التركمانية الى روسيا وجعلها موالية للحكم القيصري. وازدادت مساحة روسيا في تلك الفترة بمقدار 430 ألف كيلومتر مربع.

توفي القيصر في 17 تشرين الاول عام 1888 تحطم قطار كان يقل الامبراطور وعائلته وانهار سقف العربة ويقال ان القيصر الذي اتسم بقوة جسدية جبارة كان يتحمل على ظهره وزن السقف المنهار الى ان وصلته المساعدة لكن هذا الحادث تسبب في تدهور صحة الامبراطور الذي توفي بعد 6 سنوات، اي في 20 تشرين الاول عام 1894 مصابا بالفشل الكلوي ودفن جثمان الامبراطور في قلعة بيتروبالوفسكايا بمدينة بطرسبورگ.

المحاضرة التاسعة

الثورة الصناعية

الثورة الصناعية هي مُصطلح يُشير إلى التغيُّر الجذري الذي حدث في حياة الناس خصوصًا في اوربا وفي مقدمتها بريطانيا ، خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن

التاسع عشر الميلاديين حيث تحولت المجتمعات الزراعية إلى مجتمعات صناعية فنشأت مدن صناعية جديدة و توسعت مدن أخرى بفعل الإختراعات ونظام المعمل, وظهرت طبقات إجتماعية وقيم وتقاليد لم تكن موجودة من قبل.

بدأت الثورة الصناعية في بريطانيا خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وانتقلت إلى أجزاء من أوروبا وأمريكا الشمالية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، انتشر التصنيع في أوروبا الغربية وشمال شرقي الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أدت الثورة الصناعية إلى زيادة عظيمة في الإنتاج. كما أخرجت التصنيع من نطاق المنزل والورشة الصغيرة، وأحلَّت الآلات ذوات المحركات محل العمل اليدوي، وطُورت المصانع لتصبح أفضل وسيلة للجمع بين الآلات والعمال لتشغيلها.

ومع ان الثورة الصناعية تقترن بالقرن التاسع عشر الا انها استمرت في عطاءها وتطورها حتى عصرنا هذا, فهي اذن ليست مجرد ثورة وقتية انما هي ثورة دائمة من خلال التطور الذي طرأ على المخترعات والصناعات والمجتمعات في عصرنا الحالي، والذي تعود جذوره الى عصر الثورة الصناعية. ولا يمكن تشبيه تلك الثورة بالتحولات التدريجية او المفاجئة التي عرفتها القرون السابقة منذ العصور الحديثة بل وحتى الوسيطة والقديمة منها ، ويعود ذلك الى طابعها الاكثر تعقيداً وشمولية فقد ادت الثورة الصناعية الى الاستعاضة عن الجهود البشرية بالآلة على نطاق واسع ، وفرضت المصنع الكبير على حساب المعمل الحرفي الصغير ، وبذلك غيرت العلاقات الانتاجية بشكل جذري ، وتميزت في زيادة هائلة في الانتاج وتمكنت من ايجاد وسائل نقل ومبادلات سريعة لم يعرفها الانسان من قبل.

كما تطلبت الثورة الصناعية اعادت النظر بشكل شامل في العوائد النقدية والقروض وعموم الحالة الاقتصادية ان الأوصاف والتعريفات التي اعطيت الثورة الصناعية من قبل الذين كتبوا عنها بعد ان شعروا بها تظهر, ان الثورة الصناعية كانت حركة عميقة قلبت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بريطانيا وبقية الدول

العربية بل والعالم. وبقدر تعلق الامر بتاريخ محدد للثورة الصناعية كظاهرة اقتصادية اجتماعية ذات آثار تدريجية فانه من الصعب تحديد بدايتها ونهايتها ومع ذلك فان بعض الباحثين يعود بها الى حوالي القرن السادس عشر أي انهم يربطوها بالاستكشافات الجغرافية والثورة التجارية وعصر النهضة. ألا ان المؤلفات والبحوث الاساسية تتفق على حصر حدودها بين 1766_ 1830م لكننا نتفق مع الباحثين الذين يعتبرون ان الثورة الصناعية لا نهاية لها وان التطور الذي يعيشه عالمنا المعاصر هو امتداد طبيعي لها.

عوامل قيام الثورة الصناعية في بريطانيا قبل غيرها من دول اوروبا

كانت بريطانيا اول الدول الاوربية التي ظهرت فيها الاختراعات وقد تنبهت الدول البريطانية والبرجوازية العقارية والتجارية الى الفوائد المرتقبة من هذه الاختراعات مما ادى الى توفير رؤوس الاموال والعناية بها الا ان الثورة الصناعية في بريطانيا لم تلعب دوراً حاسما في الحياة اليومية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بالتحديد في حدود سنة 1780 ولكن التحولات التقنية الكثيرة المرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا كانت خلال هذا التاريخ جارية وبدأت بريطانيا تقدم للعالم الدليل على ان نوعا جديد من النمو الاقتصادي المحول ذاتيا والمتسارع ذاتيا قد اصبح منذ الان في متناول بعض الامم المتطورة بداوات الصناعات النسيجية وبخاصة معامل صناعة القطن تشهد ثورة في التطور وتحسين نوعية النتاج وحجمه ويمكن ان نحدد الاسباب التي ادت الى سبق بريطانيا غيرها من دول اوربا في الثورة الصناعية:

اولا :أسباب طبيعية :

1- رطوبة الجو في بعض جهات إنجلترا، مما شجع على قيام صناعة غزل القطن في منطقة لانكشير وخاصة في ليفربول ومانشستر.

2- وجود بعض الأنهار سريعة الجريان، فاستخدمت مساقط المياه بها لإدارة آلات المصانع.

3- مجاورة مناطق الفحم لمناطق الحديد، وفي مناطق بها موانئ صالحة للملاحة.

ثانيا: أسباب سياسية :

1- ادت ثورات وحركات القرن السابع عشر في بريطانيا وخصوصا الثورة الجليلة سنة 1688 الى استقرار الملكية والبرلمان والكنيسة مما ادى الى ابتعاد بريطانيا عن التقلبات والتغييرات السياسية .

2-فتحت التطورات الدستورية في بريطانيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الباب واسعاً لحكم طموحات البرجوازية والبريطانية في تسيير شؤون السلطة خصوصا بعد توحيد الجزر البريطانية الذي هو في الواقع لا يمثل مجرد توحيد سياسي بل ايضا توحيد للسوق الاقتصادية البريطانية .

3- عدم تعرض إنجلترا للغزو الخارجي مثل باقي دول أوروبا(لم يستطع نابوليون بونابرت غزوها)،فتوفر لها الاطمئنان مما ساعد على تقدمها الاقتصادي والصناعي كما ساعد الموقع الجغرافي للجزر البريطانية في الابتعاد عن ويلات الحرب التي عاشتها اوربا خلال القرن السابع عشر حتى قيام الثورة الفرنسية من ظهور نابليون فلم تجر على الارض البريطانية اية حروب او معارك كالتي شهدتها اوربا. وهكذا استقرت الاحوال في الجزر البريطانية ما ساعد البريطانيين على الاهتمام بالجوانب الاقتصادية بينما كانت اوربا تعاني من ويلات الحروب.

4- قوة أسطولها و اتساع مستعمراتها حيث راجت مصنوعاتها وتوفرت لها الاسواق ومصادر المواد الاولية ذات الاهمية الكبرى في تطور الصناعة.

ثالثا :اسباب اقتصادية :

1-الحركة التجارية ونمو الرأسمالية البريطانية:انعكس استقرار الحالة السياسية في بريطانيا على الحركة التجارية فيها بشكل ايجابي ومؤثر نقصد بهذه الحركة (التجارة الخارجية) التي اولتها الحكومة البريطانية عناية فائقة منذ بدايات القرن السادس عشر لأنها تدر ثروات كبيرة من المعادن الثمينة كالذهب والفضة مما ادى الى تراكم رأس

المال الهام في قيام الصناعة ، ولذلك قامت ببناء الاساطيل البحرية والتجارية واصدرت مجموعة من القوانين التي نظمت عمليات التبادل التجاري لصالح بريطانيا .

2- توفر اليد العاملة الرخيص:لقد ادى انتقال المخترعات في بريطانيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من مجال البحث الى حيز الانتاج الاقتصادي الى نشوء العمل وظهور الحاجة لليد العاملة التي كانت ترتبط بالزراعة والريف وقد كانت بريطانيا من الدول التي شهدت زيادة في السكان زيادة والتي نتج عنها استهلاك متزايد للسلع الغذائية والمواد الاولية مما ساعد على تقدم كبير في التقنيات الزراعية وقد حدث هذا بشكل خاص في بريطانيا.

3- تطور صناعة النسيج : ارتبطت صناعة النسيج التي هي اقدم الصناعات في بريطانيا بالنشاط الزراعي وبالمناخ البريطاني الذي تتلائم رطوبته مع هذه الصناعة و صناعة الغزل والنسيج كانت من اولى الصناعات التي تطورت عن كونها صناعات حرفية واسعة الى صناعات مصنعية كبيرة.

4- وفرة مصادر الطاقة وتطورها: ان تطور عمليات استخراج الفحم الحجري في بريطانيا والذي كان يمثل مصدر الطاقة الاساسي قد ساعد على توفير الطاقة المستعملة في التعدين وانتاج الحديد دون حاجة الاستيراد والتي كانت بريطانيا تعتمدها من روسيا والسويد مقابل تصدير الحديد المهم في الصناعة سابقا.

رابعا: أسباب اجتماعية :

1-إتجاه إنجلترا على العناية بالعلوم الطبيعية.

2- لم يترفع نبلاء إنجلترا عن كسب المال عن طريق المصانع والمناجم (بعكس نبلاء فرنسا). فظهر من بينهم العلماء والمخترعون أمثال (جيمس وات).

3-قيام حركة الاختراعات:. المقصود بها ابتكار مجموعة من الآلات ووسائل الانتاج لكي تجل الادوات والوسائل القديمة وكانت اول الدول التي شهدت هذه الظاهرة هي بريطانيا فأصدرت قانون براءة الاختراع الذي يحفظ للمخترع حق استعمال اختراعه.

العوامل التي أدت إلى قيام الثورة الصناعية :

1- كان من أثر الحروب الصليبية أن بدأ النظام الإقطاعي ينهار من أساسه في أوروبا، فكان في ذلك فرصة لتحرير الآلاف من الفلاحين من رق الإقطاع وأصبح لهم الحرية المطلقة في ترك العمل بالمزارع و الإتجاه نحو المصانع حيث كانت تنتظرهم أجور أفضل.

-2كانت للحروب الصليبية أيضًا أثر في اطلاع الأوروبيين على نفائس الشرق والوقوف على مدى ما وصل إليه الشرق آنذاك من تقدم ومهارة في الفنون والصناعات.

-3نمو الرأسمالية، واستغلال رؤوس الأموال في قيام مشروعات صناعية وتشجيع المخترعين أدى إلى تقدم الصناعة وكثرة إنتاجها.

-4 حركة الاستعمار الأوروبي أدى إلى خلق أسواق جديدة لتصريف المنتجات فأدى ذلك للرغبة في زيادة الإنتاج.

5- استقرار الأوضاع السياسية.

6- توفر المواد الأولية خاصة الفحم والحديد.

7- ملاءمة المناخ للنشاط البشري.

8- توفير اليد العاملة.

مراحل الثورة الصناعية

المرحلة الأولى (1770 م– 1830م)

في خلال هذه الفترة تقدمت صناعة القطن والتعدين واستخدام البخار في تسيير الآلات ثم كان
أخيرا تطور وسائل النقل.
الغزل والنسيج :
لقد حظيت صناعة الغزل في هذه الفترة بعناية كبيرة، بفضل سعي الكثيرين إلى تحسينها حيث قام نجار ماهر يدعى هرقريفز سنة 1767 م بصنع آلة الغزل فاستطاع الغزال الواحد أن يدير ثمانية مغازل بيده اليمنى وصلت إلى 120 مغزلا بعد التحسينات. ثم اخترع جهاز آخر سنة 1769 م من طرف)أركريت(كان يدار أولا بقوة الخيل ثم بقوة الماء. واخترع آلة لطبع الرسوم على الأقمشة بطرق كيماوية فتنوعت أشكالها لتتناسب مع الأذواق.

استخدام البخار :

تمكن العالمان نيوكومن، وسافري منذ 1698 م من الكشف عن قوة البخار ثم استخدماها في الصناعة. ثم جاء العالم "جيمس وات"سنة 1760 م وعمل على تحسين هذه المخترعات، وبدأ في استخدام البخار في صناعة القطن والصوف وغيرها من المنسوجات.

ونتيجة للمخترعات السابقة ارتقت صناعة التعدين وتمكن العالم)بسمر(سنة 1856 م من الوصول لتحويل الحديد إلى صلب لاستخدامه في صنع الآلات التي تتطلب المقاومة زمنا طويلا.

وسائل النقل :

في ميدان وسائل النقل، جرى الإهتمام في البداية بشق الترع والقنوات المائية بطرق علمية وهندسية جديدة، ثم ظهرت صناعة السكك الحديدية والعربات وما يمكن ملاحظة ما يلي :

استعمل البخار في تسيير الزوارق على يد المهندس الأسكتلندي سيمنجتن 1802 م.

وفي عام 1806 م أنشأ روبرت فولتن الأمريكي زورقا بخاريا من الخشب.

وفي سنة 1823 م كانت القوارب البخارية تسير بأعداد كثيرة في أنهار انجلترا.

وفي 1830 م استخدم البخار في المواصلات البرية عندما أنشأ "جورج ستيفنسن" أول خط حديدي بين ليفربول ومانشستر.وفي ميدان وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية، استطاع

(مورس(أن يكتشف التلغراف،واكتشف)جراهام بل) الهاتف، واكتشف هرتز الموجات الجوية، و ماركوني الراديو اللاسلكي. وبذلكأصبحت الأخبار والخدمات التجارية تنتشر بسرعة وبأقل مجهود، وطويت المسافات الطويلة التي كانت تفصل البلدان والشعوب والقارات عن بعضها البعض.

المرحلة الثانية 1830 م– 1870 م

في هذه المرحلة ،أصبحت الصناعة تسير قدما نحو الرقي على أسس وقواعد سلمية وبدأ عصر الإنتاج الكبير في الصناعة، بحيث تعدت هذه النهضة الصناعية حدود انجلترا إلى بقية أنحاء أوروبا ثم إلى أمريكا.
وصلت صناعة النسيج من قطن وصوف إلى درجة كبيرة من الإتقان، وأخذت الآلات تحل محل الأيدي العاملة في مختلف المجالات اليدوية الأخرى، كصناعة الأحذية والطحن والغسيل ...الخ.

في ميدان المحركات الكهربائية :

وفي ميدان الكهرباء والمحركات الكهربائية استطاع المهندس لنوار أن يخترع محركا يشتغل بالبترول، وتوصل العالم البلجيكي فرانيم إلى اختراع المولد الكهربائي، واخترع العالم الألماني ديزل المحرك الذي يحمل إسمه ومن ذلك تقدمت هندسة الكهرباء.وهكذا اخترعت السيارة عام 1885 م والطائرة عام 1908 م، واستمرت حركة الاختراعات تنموونتطور في القرن العشرين وما تزال تسير وتتطور بسرعة مدهشة.

نتائج الثورة الصناعية

النتائج الاقتصادية :

1- تحسين طرق الإنتاج : بسبب سيطرة الآلة الحديثة وتسييرها بالطاقة)بخار، كهرباء، بترول(تطورت طرق التعدين وأساليبها واخترعت أجهزة جديدة للتنقيب على المعادن واستخراجها، وزادت كمياتها.

2- زيادة كمية الإنتاج وسرعته : كان من نتيجة تطور الآلة واكتشاف القوى المحركة، واستخراج المعادن، أن زاد حجم وسرعة الإنتاج.

3- ازدياد الحاجة إلى رؤوس الأموال : استلزم شراء الآلات الحديثة وإقامة المصانع الكبرى، وتشغيل الأعداد الكبيرة من العمال، وشراء المواد الأولية وظهور رؤوس الأموال، وقيام طبقة رأسمالية، والشركات الرأسمالية فأدى إلى تطور نظم المصارف والبنوك، فظهرت الرأسمالية الصناعية ممثلة في السهم والشركات والمصانع، إلى جانب الرأسمالية الزراعية، والرأسمالية التجارية.

4- تأثير تقدم الصناعة في الرأسمالية الزراعية : لقد أصبحت المواد الخام الزراعية غذاء للمصانع، وصار استهلاكها لتلك المواد يزيد من حظ ملاك الأراضي في الثروة، وساعد تقدم الزراعة على تحقيق الضغط المتزايد على الأراضي، وعلى استغلال الفائض من الأيدي العاملة في مجالات صناعية جديدة.إلا أن ذلك كان له تأثير سلبي في بعض الدول، حيث جذبت الصناعة كثيرا من سكان الريف إلى المصانع، فأهملت الأراضي الزراعية وانخفض الإنتاج الزراعي.

النتائج الاجتماعية

1- نمو السكان :

كان تقدم الصناعة سببا في هجرة كثير من الفلاحين إلى حيث توجد المصانع والموانئ، فزاد عدد سكان هذه المناطق، فبعد أن كانوا حوالي 175 مليون عام 1800 م، أصبحوا 400 مليون عام1900 م ثم وصلوا إلى 505 مليون نسمة عام 1930 م.

-2 ظهور طبقة العمال ووضعيتهم:

أدى قيام المصانع وانتشارها إلى نمو الرأسمالية الصناعية وظهور أقلية من الرأسماليين والبرجوازيين الأثرياء تقابلهم طبقة العمال التي تتقاضى أجورا زهيدة فساءت وضعيتها الإجتماعية في غياب حماية الدولة لها الأمر الذي أدى إلى ظهور نقابات عمالية تسعى إلى تحسين ظروف عمل الطبقة الشغيلة ، كما ظهرت نتيجة لذلك الأفكار الإشتراكية المنددة بالإستغلال والداعية إلى الثورة ضد النظام الرأسمالي فاندلعت ثورات في أوربا خلال القرن التاسع عشر، الأمر الذي دفع الحكومات إلى التدخل لتحسين ظروف العمال تجنبا للثورة.

النتائج السياسية :

1- سيطرة الطبقة الرأسمالية الصناعية :

ورجال الأعمال على توجيه الحكومات ودفعتها إلى تطبيق مخططاتهم وأهدافهم في الميدان الاقتصادي والاجتماعي، خدمة لمصالحهم وحمايتها.

2- قويت الحركات الشعبية :
خاصة من جانب العمال، فاندلعت عدة ثورات بأوروبا خلال القرن التاسع عشر م وبعده للتعبير عن آمال العمال وإرادتهم في تحسين أحوالهم الاجتماعية والمادية، والتمتع بحقوقهم السياسية، وأدى ذلك كله إلى حصول العمال والجماهير الشعبية على حقوق سياسية واسعة وتألفت لهم أحزاب، وتولت أحيانا مناصب الحكم.

3- ظهور معنى جديد لاستقلال الدول :

لم يعد الإستقلال مجرد حماية البلاد من الغزو الأجنبي بل أصبح بعد القرن التاسع عشر م يعني سعي الدول يكل إمكانياتها لكي لا تبقى عالة على الدول الأجنبية في الناحية الاقتصادية.

-4الحركة الاستعمارية: ضاعفت الدول الأوربية نشاطها الاستعماري للبحث عن أسواق جديدة لتصريف إنتاجها الصناعي، وللسيطرة على المناطق الغنية بالمواد الأولية لصناعتها، وبذلك اشتد التنافس بين الدول الأوروبية على الإستعمار.

5- ظهور الحركة النسائية في أوروبا :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت حركة نسوية تهدف إلى إعطاء المرأة حقوقها السياسية و مساواتها بالرجل، ونجحت هذه الحركة في بعض الدول وفشلت في بعضها الآخر.

محاضرات الكورس الثاني

المحاضرة الاولى

المعضلة الايرلندية (1801- 1916)

ترتبط المعضلة الايرلندية بقضية الصراع الطائفي المسيحي بين البروتستانت البريطانيون والكاثوليك الايرلنديين إلا أن الأمر اتخذ أبعاداً أعمق وتطور الصراع إلى قضية قومية بين أمة تريد التحرر وبين سلطة تريد المحافظة على وحدة جزرها, وقد ساعد على وصول القضية إلى هذه المرحلة كون ايرلندا جزيرة واسعة ومن أبعد الجزر البريطانية عن إنجلترا. فضلاُ عن هذا مسائل اقتصادية تتعلق بمصادر الانتاج وأساليبه, ففي الوقت الذي أصبحت فيه بريطانيا بلداً صناعياً نتيجة للثورة الصناعية بقيت ايرلندا بلداً زراعياً ولم تتأثر بالثورة الصناعية إلا قليلاً. وقد زاد في تعقيد هذا الجانب (مشكلة

الأراضي) التي كانت العامل المباشر في هذه المعضلة، ذلك أن أراضِ ومساحات زراعية واسعة من ايرلندا قد أصبحت بفعل الهيمنة البريطانية بأيدي كبار الملاك بالوراثة أو بالشراء الذي بدأ منذ عهد كروميل وإن هذا الواقع وكون معظم الملاك لا يقيمون في ايرلندا وإنما في بريطانيا ولهم وكلاء على هذه الأراضي كانوا يسيئون معاملة الفلاح الايرلندي (الملاك الغائبون) قد سبب استياءً كبيراً لدى الايرلنديين الذين يختلفون عن البريطانيون في لغتهم وكثيراً من عاداتهم وتقاليدهم فضلا عن الحساسية الطائفية المفرطة بين البريطانيون والايرلنديين كبروتستانت وكاثوليك.

كانت ايرلندا تتمتع باستقلال داخلي ولها برلمان خاص في دبلن حتى نهاية القرن الثامن عشر، وكان هذا البرلمان خاضعاً إلى مجلس العموم البريطاني إلا أنه كان له حق التشريع في الأمور الخاصة بإيرلندا فقط وفي بداية القرن التاسع عشر (1800) الغى البريطانيون ذلك البرلمان بموجب قانون الاتحاد وألحقوا النواب الايرلنديين بمجلس العموم البريطاني في لندن ولكي تتوضح الصورة في تطور هذه القضية فلا بد من عودة سريعة الى تاريخ العلاقات البريطانية الايرلندية خلال القرون السادس عشر وحتى نهاية الثامن عشر.

فتح الانكليز في عهد الملك هنري الثامن إيرلندا وأصبح ذلك الملك يلقب منذ سنة 1542 بلقب ملك إيرلندا فضلا عن ألقابه الأخرى واتبع الانكليز منذ ذلك التاريخ سياسة (التأصيل) التي يراد منها جعل إيرلندا انكليزية حتى عمل الحكم الإنكليزي مصادرة أراضي واسعة وكبيرة من الايرلنديين وجلب معمرين إنكليز للاستيطان فيها وقد بدأ هذا الغرس بالنشاط بشكل خاص منذ سنة 1555 وتركز في منطقة (الستر) في القسم الشمالي الشرقي من إيرلندا فضلا عن ذلك فقد عمل الإنكليز على توطيد سيطرة

الكنيسة البروتستانتية الانجليكانيه في ايرلندة وكانت نتيجة ذلك أن البروتستانت في إقليم الستر قد أصبحوا يشكلون 60% من السكان، أما في غير ذلك فقد كانت الأكثرية 5 السكان, لكن هذا لم يمنع من وجود /العظمى لسكان إيرلندا الكاثوليك الذين يكونون 4 البروتستانت في غير إقليم الستر، إلا أنهم كانوا مبعثرين وعددهم قليل ويتكونون من ملاك كبار وموظفين ووكلاء الملاك.

قاومت إيرلندا منذ البداية سياسة الاستيطان وفرض البروتستانتية الإنكليزية فقامت في القرن السابع عشر عدة ثورات قمعت آخرها سنة 1649 في حملة كروميل, ولم تتحرك إيرلندا بعدها في معظم سنوات القرن الثامن عشر حيث خضعت تماماً لإنكلترا وعاشت تحت أقسى الأنظمة والعقوبات, بيد أن استقلال المستعمرات الأمريكية والمشاكل والمضايقات التي واجهتها إنجلترا في ذلك الحين قد أدت إلى حصول الايرلنديين على برلمان خاص بهم سنة 1782 مرتبط بمجلس العموم البريطاني. وفي أيار سنة 1798، أيام الثورة الفرنسية قام الايرلنديون بثورة قمعت من قبل البريطانيون الذين عاقبوا الايرلنديين بحل برلمانهم الخاص وإلحاقهم ببريطانيا سنة 1800 ونصبوا نائباً للملك في دبلن, وقد بقي الكاثوليك الايرلنديين محرومين من حقوقهم السياسية كلياً حتى سنة 1829 عندما أصبح لهم حق التصويت في الانتخاب والعمل في دوائر الدولة. وفي الواقع فإن الاحتجاج الايرلندي لم يظهر بشكل جدي وواضح إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة عوامل دينية واقتصادية وقومية:

ففي الجانب الديني: كانت الكنيسة الإنجليكانية قد استولت على كل أموال وأملاك الكنيسة الكاثوليكية الايرلندية منذ الفتح الإنجليزي مع أنه لم يكن للكنيسة

الانجليكانية أتباع إلا في أقسام صغيرة جداً من البلاد مما اضطر الكاثوليك إلى بناء كنائسهم بأموالهم الخاصة رغم أنهم كانوا يدفعون الضرائب لكنيسة (الأقلية) التي لا يوجد لها مؤمنين في أكثر النواحي مما ولد لديهم الشعور بالظلم والاضطهاد وعدم وجود العدالة والمساواة, أما عن العلاقة بين الكاثوليك والبروتستانت في المناطق التي يسكنون فيها مثل الستر فقد كانت مقطوعة تماماً: فلا زواج ولا علاقات اجتماعية سوى علاقات الأعمال, ومن جانب آخر كان البروتستانت يكرهون الكاثوليك وتعمل على تغذية أفكارهم بتلك الكراهية (الجمعية الأورانجيه) التي كانت نشطة رغم قلة عدد البروتستانت وبقدر كراهية البروتستانت فقد كان الكاثوليك يبادلونهم المثل إلا أن عداءهم كان يحمل روحاً ذات طابع قومي ودوراً سياسياً يحرص على استقلاله حيال الدولة والسلطة الإنكليزية.

3 /أما الاقتصاد الايرلندي فقد كان زراعياً يشكل الفلاحون والمزارعون فيه 2 السكان ولم تكن هناك صناعات إلا في بلفاست ودبلن مقتصرة على النسيج. وكان 97% من الأرض الزراعية مملوك من قبل (اللاند لوردز) االبريطانيون الذين يبلغ عددهم 14 الف في حين يمتلك بقية الأرض الملاك الصغار الايرلنديين الذين يصل عددهم إلى 540 الف ولم يشأ الملاك البريطانيون يقيمون في إيرلندا ولهذا كان لهم وكلاء في الأرض.

وخلال السنوات 1846–1852 تضررت الزراعة في إيرلندا لاسيما محصول البطاطا فحدثت مجاعة خطيرة أدت إلى هجرة العديد من الايرلنديين إلى الولايات المتحدة الأمريكية مما أدى إلى انخفاض أسعار الحنطة بشكل كبير لدرجة أنه لم يعد يوفر ربحاً للملاكين البريطانيون فقرروا العودة إلى الرعي فكان لذلك التحول أثره الكبير

في زيادة البطالة الزراعية بوجود فائض في الأيدي الزراعية التي فقدت الأرض التي تزرعها، كما أن الملاك البريطانيون طردوا المستأجرين بعد أن أصبح هؤلاء عاجزين عن دفع ثمن الكراء بسبب انخفاض الأسعار. لقد طرد حوالي 58,400 مستأجر واضطرت أكثر من 300 الف امرأة لمغادرة البيوت التي يسكن فيها لأنهن من المستأجرين فأصبح الفلاح يعيش في حالة بائسة ساعد على تفاقمها رفض إدارة العمل البريطانية مساعدة من كان يملك في السابق حقلاً متوسط الأبعاد.

ترك هذا الطرد مراره شديده في نفوس الايرلنديين الكاثوليك وحدثت هجرة كبيرة خلال السنوات 1846–1900 إلى الولايات المتحدة بحيث أن نفوس إيرلندة كانت سنة 1841 تساوي حوالي 8 ملايين ونصف نسمة قد أصبحت سنة 1900 4 ملايين ونصف , أي أن عدد السكان قد نقص بمقدار النصف في نصف قرن, ومما زاد في الأمر سوءاً أن العناصر الفتية هي التي هاجرت فكانت عوائلهم تحمل الغيظ والغضب ضد البريطانيون وقد عبر الايرلنديون الكاثوليك، عن ذلك الغضب بأعمال انتقامية ضد الملاك البريطانيون سواء في حرق ممتلكاتهم أو سلبهم أو قتلهم بحيث أصبح (القتل الزراعي) كما عبر عنه البريطانيون أمراً شائعاً بعد أن تكونت جمعيات فلاحية سرية هدفها الانتقام من الملاك الذين طردوهم دون سبب وبلا تعويض عن التحسينات التي أجروها في الأرض مما ولد شعوراً قومياً بضرورة التخلص من السلطة (الأجنبية) البريطانية وتحقيق الحكم الايرلندي الذاتي أو المستقل.

إن هذه العوامل والحالة السياسية واحتقار البريطانيون للايرلنديين قد أدى إلى ظهور الاحتجاج الايرلندي الذي اتخذ أسلوبين للتعبير عن نفسه وهما الأسلوب السلمي والأسلوب الثوري، ففي الأسلوب الأول : تكونت عصبة حقوق الفلاحين سنة 1850

ورفعت شعار (أجار معقول) أي أن يكون ثابتاً ومحدداً وفق القانون و (ثبات الأرض) أي عدم طرد الفلاح ما دام يدفع الإجار و (حرية البيع) أي أن المستأجر له حق الاجار لفلاح آخر واستطاعت العصبة أن تحقق انتخاب 50 من أعضائها في الوفد الايرلندي إلى مجلس العموم المكون من 103 ايرلنديين لكنهم كانوا قليلين وغير قادرين من الناحية العددية على استحصال موافقة مجلس العموم لإصدار قرارات لصالحهم ومع ذلك فقد صدر سنة 1860 قانوناً يعطي بموجبه الملاك تعويضاً إلى المستأجر إذا كان قد أجرى تحسينات على الأرض التي استأجرها, أما المنظمة الأخرى فهي (العصبة القانونية) التي طالبت باستقلال ايرلندا الذاتي.

وفي مجال الأسلوب الثوري: قد كان المهاجرون إلى الولايات المتحدة المحرك الأساسي له حين شكلوا جمعية (الفتيان) في المنفى وأوجدوا لها فروع في ايرلندا الغرض منها الإعداد لثورة مسلحة ضد السيطرة البريطانية وذلك بأن يقدم الايرلنديون المهاجرون المال والسلاح وبمساعدة الجنود الايرلنديين الذين يعملون في القطاعات البريطانية المتواجدة في إيرلندا تعلن الثورة وقد أعلنت الجمعية من المنفى استقلال إيرلندا الجمهورية وأنشأت الجمعية جريدة (الشعب الايرلندي) السرية التي كانت تؤكد أن البريطانيون لن يستجيبوا لمطالب الايرلنديين إلا بالقوة وأنه من العبث النقاش معهم أو مطالبتهم سلمياً بالحكم الذاتي. وبناءً على ذلك بدأ بعض الايرلنديين المقيمين في الولايات المتحدة بالتدرب على السلاح كما كسب بعض الخبرة من خلال مشاركتهم في حرب الاهلية الأمريكية سنة 1860–1865 وبعد انتهاء الحرب وتسريحهم من الجيش فكروا بالعودة إلى إيرلندا لتدريب أبناء شعبهم وهكذا أصبحت جمعية الفتيان أكثرية جدية في عملها وفي 1865 تلقى البوليس البريطاني معلومات بوجود مؤامرة فبدأت الحركة القمعية ضد الحركة الايرلندية و مقر الجريدة السري ,وفي 1866 صدرت الأوامر

بإيقاف وسجن المئات من الايرلنديين وفقاً لقانون الاستثناء الذي صدر من أجل هذا الهدف والذي نص على تعليق القانون الذي يمنع إيقاف المواطن دون حكم, وهكذا بدأ فتيل الثورة بالاشتعال إذ تقرر في 1867 في اجتماع بالولايات المتحدة عقده المهاجرون إعلان الحرب وبدأت الثورات الايرلندية في أماكن مختلفة من إيرلندا ومع أن هذه الثورات لم تأتِ بنتيجة حاسمة إلا أنها ساعدت على القيام بإصلاحات جوهرية.

ظهرت الاصلاحات في الفترة 1868–1910، إلا أنها لم تكن إصلاحات سياسية بمعنى أن إيرلندا بقيت كما هي تابعة لبريطانيا كلياً لكن النضال الايرلندي حقق إصلاحات في مضمار المذهب والأرض الزراعية, وقد جاء نتيجة للاحتجاج الذي اتخذ أسلوبين لتحقيق أهدافه هما أسلوب العنف وأسلوب الضغط في مجلس العموم في آن واحد وقاد هذا الأسلوب الأخير (جالس ستيوارت بارنيل 1846–1860) والذي سعى إلى توحيد الايرلنديين كافة كقوميه تضم البروتستانت والكاثوليك وطالب الحكومة البريطانية بمنح إيرلندا حكماً ذاتياً وقد مثل أسلوب العنف بما أطلق عليه (الجرائم الزراعية) والمقصود بهذا التعبير أعمال حرق حقول الملاك الكبار وإطلاق النار على وكلائهم واغتيالهم من قبل الفلاحين المطرودين من أراضيهم, وقد شهدت سنة 1882 الحد الأقصى لتلك الجرائم حين وقعت في شهر نيسان محاولة اغتيال قريب رئيس الوزراء البريطاني غلادستون، اللورد كافنديش مع مساعده في دبلن والذي كان يشغل منصب كبير الأمناء في إيرلندا, ولم تقتصر هذه المحاولات والاغتيالات على إيرلندا لوحدها بل امتدت إلى بريطانيا نفسها بإلقاء الديناميت في محطات لندن وسجونها ووصل الأمر إلى نسف أبنية مقر قيادة الشرطة البريطانية بالديناميت سنة 1883 فضلا عن قيام تظاهرات ضخمة في لندن ودبلن قادت إلى الاصطدام بالشرطة البريطانية وقتل وجرح العديد من المتظاهرين.

إن أسلوب العنف الذي تزامن مع الضغط السياسي في مجلس العموم قاد وزارة الأحرار وغلادستون إلى محاولة القيام بإصلاحات في إيرلندا في المجالين الديني والزراعي. ففي المجال الديني تبنى غلادستون مشروعاً أقره مجلس العموم سنة 1869 أصبحت بموجبه الكنيسة الانجليكانية مجرد كنيسة عادية وليست كنيسة دولة ففقدت بهذا حق جباية الضرائب ولم تعد مؤسسه سياسيه لها تمثيلها في مجلس اللوردات وبذلك بدأت الأموال المجباه من الضرائب تعود إلى الدولة وجمعيات التعليم والإحسان الايرلندية ومدارسها الكاثوليكية.

لقد كان غلادستون يعتقد أنه لا ضرورة لتغذية حقد الايرلنديين ومنهم الفلاحين ضد بريطانيا ولذلك اتجه أيضاً إلى القيام بإصلاحات زراعية فصدر قانون إصلاح 1870 الذي تقرر بموجبه عدم طرد الفلاح من الأرض ما دام يدفع الكراء إلا في حالات خاصة, كما أعطى القانون للفلاح الحق في بيع حقه في التأجير وللمالك في بعض الحالات حق معارضة البيع على أن يأخذ الفلاح تعويضاً عن التحسينات التي أدخلها على الأبنية أو الأرض في حالة تركه إياه وأخيراً قرر القانون تشجيع الفلاح على شراء الأرض وأن تقوم الدولة بتسليفه ثلثي ثمنها, وفي سنة1881 تحقق القسم الأعظم من الشعار الثلاثي الذي رفعته عصبة حقوق الفلاحين.

ومن الملاحظ أن صدور القوانين والتعديلات استمرت حتى خلال فترة حكم المحافظين 1886–1892 و 1902–1905 وكانت نتيجة الإصلاح أن أصبح ثلثي الأراضي الزراعية الايرلندية ملكاً للفلاحين الذين اشتروها.

كان مبدأ تحقيق الحكم الذاتي لإيرلندا هدفاً من أهداف زعيم حزب الأحرار غلادستون الذي تقدم في سنة 1886 بلائحة بهذا الخصوص من مجلس العموم لكنه

رفضها واضطر غلادستون أن يستقيل نتيجة المعارضة القوية لحزب المحافظين الذي كان يدعو إلى التمسك بقرار 1800 الخاص بدمج إيرلندا وبريطانيا وعندما جاء الأحرار إلى الحكم للمرة الثالثة سنة 1893 تمكنوا من الحصول على موافقة مجلس العموم على لائحة الحكم الذاتي لإيرلندا لكن مجلس اللوردات رفضها مما دفع غلادستون إلى الاستقالة واعتزال العمل السياسي والحقيقة أن معارضة المحافظين كانت هي السبب وراء فشل لائحة الحكم الذاتي وتلك المعارضة التي زادت المعضلة الايرلندية تعقيداً وأثارت الفكرة القومية بشكل كبير فتألف سنة 1906 حزب جديد باسم حزب (شين فين) من الشباب الايرلندي المثقف هدفه إقامة جمهورية مستقلة في إيرلندا.

وكان من أشهر رجاله آرثر كريفت (1872–1922) إلا أن المرحلة هذه لم تكن تسمح بغير إقامة الحكم الذاتي الذي تحقق سنة 1914 بتشكيل برلمان مستقل في دبلن يخضع في الأمور العسكرية والمالية وبعض الأمور الأخرى لموافقة مجلس العموم البريطاني ومع هذا فإن تنفيذ اللائحة الخاصة بإقامة الحكم الذاتي لم تنفذ بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ولم تظهر جمهورية إيرلندا المستقلة إلا بعد انتهاء الحرب حينما أعلن أعضاء (شين فين) عن قيام مجلس جمهوري ايرلندي واختاروا فاليرا رئيساً للجمهورية وكريفت نائباً له وقد رفضت (مقاطعة الستر) الانضمام إلى الجمهورية وأصرت على عدم الانفصال عن بريطانيا، ولم يتحقق نظام الحكم الجمهوري في إيرلندا إلا بقيام ثورتها سنة1919–1921 بزعامة حزب شين فين التي أجبرت البريطانيين على إقرار وتطبيق الحكم الذاتي ليكون مرحلة أولى أدت في النهاية إلى استقلال إيرلندا عدا (الستر) التي ما زالت مشكلتها قائمة إلى يومنا هذا حيث يحاول الكاثوليك الأقلية فيها الانفصال عن بريطانيا في حين يشكل سكان الستر في شمال جزيرة إيرلندا أغلبية بروتستانتية ولهذا لم يتوفر الحل الملائم لهذه القضية إلى وقتنا هذا.

المحاضرة الثانية

سياسة بريطانيا اتجاه الهند 1857-1914

بدايات التوجه الانكليزي الى الهند:-

أسست بريطانيا شركة الهند الشرقية الانكليزية سنة 1600، والتي سيطرة على جميع مقدرات وإمكانيات الهند اقتصاديا وكان تأسيس هذه الشركة لمواجهة الاستعمار البرتغالي والاسباني والهولندي الذي استغل خيرات الشرق لذا أسرعوا لاستصدار مرسوم ملكي سنة 1600 نص على تأسيس شركة تجارية إنكليزية في الهند، وكان لهذا المرسوم الملكي دافعين:-

1- دافع سياسي لمواجهة إسبانيا.

2- دافع تجاري لحرمان الاسبان من احتكار التجارة الهندية ذات الأرباح الكثيرة .

انحصرت اعمالها شركة الهند الشرقية الانكليزية في سنة 1616 على ممارسة الأعمال التجارية في بلاد فارس عبر ميناء جاسك لكن هذا النشاط كان ضعيف في البداية في الوقت الذي كان فيه حكّام الهند مستائين من نفوذ البرتغاليين المتزايد وسلوكهم السئ في معاملة الأمراء مما جعل ملوك الهند يقبلون بالإنكليز لكن لم يعطوا لهم أية عناية من الناحية السياسية اذ كانت مراكزهم التجارية في أول الامر مجموعة من قطع اراضي صغيرة اقاموا فيها بعض المحال التجارية للموظَّفين الذين يعملون فيها ويقوم بحراسة هذه الأراضي حراس هنود لكن بعد مدة جعلوا الحراس من الانكليز وأخذوا

يسلحون انفسهم بحجة الحراسة وبذلك نشأ الجيش الإنكليزي المؤلف من أبناء جنسهم ومن الموالين للانكليز.

أقدمت شركة الهند الشرقية الإنكليزية سنة 1686 على بناء أكبر مستعمرة ومركز تجاري في مدينة (البنغال) والتي عرفت فيما بعد بمدينة (كلكتا) وذلك بعد طلبهم الصلح من السلطان(أورانك زيب) بعد هزيمته لهم، وانطلقت منها الجيوش الإنكليزية لاحتلال شبه القارة الهندية وقد بدأت مخططاتهم برغبتهم في القضاء على ما تبقى من نفوذ الدولة المغولية والتي تمثل رمز السيادة الإسلامية في شبه القارة الهندية لذا خاضوا معارك عديدة ضد السلطان (سراج الدين)الحاكم القوي لإقليم البنغال واستطاعوا الاستيلاء على هذا الإقليم سنة 1755 وعيَّنوا (جعفر علي خان) أحد الموالين لهم حاكما اسمياً على البنغال، ولم يقف الملك (جلال الدين محمد شاه عالم الثاني) سلطان دلهي مكتوف الأيدي وقد اتَّخذ من مدينة (الله آباد) مقرًّا لحكومته وقد واجه الانكليز في معركتين عرفت الأولى بمعركة بلاسي في 23حزيران سنة1757 والثانية معركة بكسر سنة1764بيد أنه خسر في المعركتين وفقد اقليم البنغال واعلن استسلامه واضطر الى عقد اتِّفاقية مع الانكليز عرفت باسم اتفاقية (الله آباد) نصت على اعطاء الانكليز الحق الديواني(وهو حق الاشراف المالي على الولايات الشرقية وعلى ولاية كرناتك في الجنوب الهندي وبالمقابل تعهد الانكليز بان يدفعوا للسلطان خراجا سنويا عن الولايات الشرقية(بهار, اوريسا , البنغال) قدره 26 مليون روبية .

التصدي الهندي للانكليز:-

تصدى السلطان حيدر علي (امير ميسور)(1763 -1782) في الجنوب للانكليز وكان الإنجليز يعرفون مكانته الحربية والعسكرية فلم يتمكنوا من التقدم نحوه فتحالفوا مع المرهتا (طائفة من الراجا الهندوس في ولاية مسيور الهندية) واجتمعت الجيوش في مدينة مدارس تحت قيادة القائد الإنكليزي (أيركوت) ومنها انطلقوا للهجوم

على ميسور بيد أن السلطان حيدر علي استطاع هزيمتهم ثم طلبوا منه الهدنة فوافق كما عقد السلطان حيدر علي اتفاقية دفاع مشترك مع الفرنسيين الذين امدوه بالسلاح والضباط لتدريب جنوده.

تمكن السلطان حيدر علي من الهجوم على مدينة مدارس، وأوقع الهزيمة بالإنكليز بعد ان دارت حربٍ برية وبحرية بين الطرفين سنة1781واشترك في هذه الحرب ابنه الأمير (فتح علي خان) الشهير ب(تيبو) وقد أحرزت قوات السلطان حيدر علي انتصارات على قوات الانكليز، بيد أن وفاة حيدر علي 1782اضطرت الامير(فتح علي) للعودة الى مدينة سرنجابتم العاصمة.

نظم السلطان (فتح علي) جيشه وبناء أسطوله بمساعدة الفرنسين حتى أصبح قوة كبرى تهدد الوجود الإنكليزي فاظطر القائد الانكليزي (ولزلي) الذي اصبح الحاكم العام لشركة الهند الشرقية الإنكليزية لجمع إمكانات الإنكليز وأسلحتهم الحديثة من الولايات التي بحوزتهم وقاد جيوش الشركة والحلفاء في معركة شرسة عند مدينة كورج في سنة1799تمكن خلالها من هزيمة جيش السلطان فتح علي واتجهوا نحو العاصمة سرنجابتم وحاصروا السلطان، بيد أنه دافع عن قلعته لكن الخيانة هي التي أوقعت به في نهاية الأمر بواسطة رئيس وزراء مملكته ويدعى (مير صادق) ففتح لهم القلعة ودخلت القوات الإنكليز واستولوا عليها وقتل السلطان سنة1799 .

انتقل حكم الهند سنة 1854من شركة الهند الشرقية الإنكليزية إلى التاج البريطاني واعتمدت على سياسة التودُّد والحيلة والتقرُّب بالهدايا للأمراء والملوك المغول في الهند وكانت سياسة(جلال الدين أكبر) المفرطة في التسامح والانخراط مع الهنادكه في توليتهم المناصب العليا وحتى المصاهرة معهم لأغراض سياسية سببًا من الأسباب الرئيسية التي دفعت الإنكليز في التقدم للملك المغول لغرض الموافقة على عمل الشركة الإنكليزية في الهند.

رأى الانكليز بعد دخولهم بحجة التجارة ان مهمتهم صعبه بسبب تلاحم الهنود مع بعضهم البعض و حاولوا ان يفرقوا بين الهنود بمختلف اديانهم و اطيافهم لكن جميع محاولات الانجليز باءت بالفشل.

ثورة السيبوي ضد الانكليز 1857 :-

الأسباب غير المباشرة

الأسباب الاقتصادية:

أدت السيطرة البريطانية على الهند الى تدهور أحوال الطبقة الفلاحية، إذ كان وضع الفلاح في المناط الغربية والجنوبية من الهند يختلف عن وضعه في المناطق الشمالية، فلم يتكيف الأخير مع السياسة البريطانية لذا نمت روح الثورة هناك بين الفلاحين والزعماء الاقطاعيين واتباعهم على حد سواء، كما استاءت الطبقة الارستقراطية في الهند هي الأخرى من التصرفات المهينة التي مارسها البريطانيون وتجاهلهم للتقاليد الهندية، وأدت سياسة ضم الاراضي التي طبقها اللورد دلهاوزي الى فقدان الاقطاعيين نفوذهم لاسيما بعد تطبيق مبدأ الغاء السيادة الاسمية والألقاب لعدد كبير من الاقطاعيين واخراجهم من اراضيهم.

من المسائل التي أدت الى أثارة حكام الولايات الهندية تطبيق دلهاوزي مبدأ سوء الحكم على اراضي حيدر آبا د سنة 1853 كما كانت الصناعة الهندية الناشئة عرضه للعراقيل ولم يكن اقتصاد الهند معتمدا على الصناعات الهندية ذات الطابع الريفي والمنزلي، إذ انقرضت هذه الصناعات لغزو السلع البريطانية المتطورة للأسواق الهندية، فاتجه سكان الهند الى الزراعة لاسيما بعد زيادة الطلب على المحاصيل الزراعية لسد الحاجة المحلية لذا اعتمد اقتصاد الهند على الزراعة، التي عانت هي الأخرى من التدخل لتطبيق قانون التسوية الدائمة، الذي زاد من تدهور حال الفلاح والإقطاعي على

حد سواء وأصبحت الهند بقرة حلوب تغذي بريطانيا في حين تم دفع أبنائها بالتدريج الى الموت جوع.

لم يقتصر تأثير سياسة بريطانيا الاقتصادية على طبقات معينة بل شملت مختلف الطبقات في المجتمع الهندي، فقد حرمت الامراء المخلوعين من رواتبهم مثلما حصل مع نانا صاحب، وأدى ضم مملكتي ساتار و جهانسي وولاية ناكبور للممتلكات البريطانية الى تدمير العوائل الحاكمة فيها وإن جميع الماشية الحية منها والميتة قد تمت مصادرتها، وان الحيوانات التي تستخدمها العائلة والحاشية الملكية مثل الفيلة والخيول، والثيران، قد تم بيعها بسعر اللحم المتعفن للتخلص منها، وتم بيع أثاث ومجوهرات العائلة الملكية، باستثناء بعض الممتلكات في سوق كلكتا.

اثّر ضم الولايات الهندية الى السيطرة البريطانية على اقتصاد الهند إذ أدى الضم الى حرمان الكثير من الرجال الحرفيين من فرصة ممارسة حرفهم لاسيما بعض الصناعات مثل صناعة الأواني المزخرفة والنسيج التي لم تعد تجد لها سوقاً بعد أن حلت محلها السلع الاوربية المنتجة على نحو واسع، وأدى إدخال السلع البريطانية الى الهند، الى جعل النساجين والنجارين والحدادين عاطلين عن العمل بعد أن سيطر البريطانيون على حرفهم وكان من الطبيعي أن تؤدي الأوضاع الاقتصادية السيئة والاجراءات البريطانية التي لامست حياة الشعب الهندي الى تزايد النقمة الشعبية ضد الوجود البريطاني في الهند، ساهمت فيما بعد الى اندلاع الثورة الهندية.

الأسباب الدينية والاجتماعية

كان لصدور قانون انعدام الأهلية الدينية سنة 1856 الأثر السيئ على الهنود؛ لأنه منح شرعية الزواج للأرامل الهندوسيات بل ومنح الحماية للهندوس والمسلمين المتحولين الى المسيحية باستيراث ممتلكات أجدادهم، فعد الهندوس واعتقد المسلمون إن

ذلك القانون ضربة لمعتقداتهم الدينية لأنه كان مهيناً للهندوسي بصورة خاصة، فبموجبه منح المرتد الحصول على إرث الأجداد دون تنفيذ الالتزامات الدينية لأجداده المتوفين، أما المسلم فإن القانون كان حافزاً للرد لأن مجتمعه غير محصن ضد خطر الحملات التبشيرية.

عدّ سكان الهند إدخال سكك الحديد والاسلاك البرقية اعتداء على ديانتهم لاسيما بعدما أعلنت البعثة التبشيرية في كلكتا بأن أقاليم الهند المختلفة أصبحت مرتبطة ببعضها بوسائل المواصلات الحديدية والبرقية وبالتالي حان الوقت الذي يرتبط فيه أهل الهند بدين وأحد وكانوا يقصدون الدين المسيحي لذا عملوا على تنصير الهنود وقد امتد نشاط البعثات التبشيرية الى المدارس والمستشفيات والسجون والأسواق، فضلاً عن ذلك انتشرت أخبار في الهند بأن الحاكم العام اللورد كاننك أرسل بهدف تحويلهم الى المسيحية وان ارامل الجنود المقتولين في حرب القرم نقلن بحراً الى الهند ليتزوجن من ملاك الاراضي رغماً عنهن لتعود اراضيهم في النهاية الى المسيحيين.

عد الهندوس السياسة البريطانية مساسا حقيقيا بعاداتهم وتقاليدهم، فقد جعلت البراهمي والسودار يخضعان لنفس القوانين أما المسلمون فقد كانوا الأكثر سخطاً لأن مكانتهم الاجتماعية قد تدنت وأصبحوا متخلفين مقارنة بأصحاب الاديان الأخرى وعلى نحو عام يمكن القول إن عدم قبول الهنود في الفروع التشريعية والادارية في الحكومة أدى الى إخفاق البريطانيين في فهم وحل مشاكل الهنود وقد أدت السياسة البريطانية في الهند الى ظهور عدد من الزعماء الهنود يدعون الى مواجهة البريطانيين أشهرهم مولوي فيزا باد الذي حث سكان الولايات الشمالية الغربية على الثورة.

قاد قانون ضم الاراضي الى السيطرة على الكثير من عقارا ت الإقطاعيين في ولاية أوده الذين شكلوا طبقة ارستقراطية قوية الأمر الذي حول أودة الى مركز للاستياء والمؤامرات ضد البريطانيين كما شعر المارا ثيون بالاهانه بسبب ضم مملكتي ساتار و

جهانسي وولاية ناكبور ومما زاد الاستياء ضد البريطانيين اقتراح نقل الامبراطور المغولي وبلاطه الى منطقة كوتب التي تقع على بعد بضعة اميال عن العاصمة واصبح وضع ملك دلهي داخل القصر مجرد تمثال أو صورة بيد أنه يشكل نقطة تجمع معنوي تتجمع حولها أحلام الامراء المستائين .

أدت الأمور الى تدهور الوضع الاجتماعي وإضعاف الطبقات القديمة ودعم الطبقات الجديدة المتمثلة بالطبقة الرأسمالية، التي ارتبطت مصالحها السياسية والاقتصادية بالمصالح البريطانية في الهند فضلاً عن ذلك جعل اللغة الإنكليزية اللغة الرسمية في المؤسسات الحكومية.

ان معالم تلك الثورة لم تكن مكتملة في ظل مجتمع تسوده الطبقية والتناحر الطبقي والديني، لذا يمكن وصفها بالثورة في مراحلها الاولى وان كانت قد اكدت كرهها للاحتلال والمحتلين وتفتحت الابواب نسبياً فيما بعد امام ابناء الهند لتولي المناصب المهمة في الحكومة.

دفع هذا الحكومة البريطانية الى أن تتخذ بعض الإجراءات للحفاظ على وضعها في الهند، فأصدرت قانون رقم (33) لعام 1857 المعروف ب (قانون الطوارئ) الذي يتعلق بالأجانب وقد ورد في مقدمة القانون من الأمور الطارئة إبلاغ ممثلي الحكومات المختلفة في الأراضي البريطانية في الهند منع رعايا الدول الأجنبية من الإقامة أو المرور والسفر الى الهند دون الحصول على موافقة الحكومة البريطانية في الهند لذا تم إصدار تشريع يقدم بموجبه كل شخص أجنبي عند وصوله الى الهند تقريراً يوضح فيه بياناته للحكومة البريطانية في الهند واستناداً عليه يتم منحهم اجازات وفقاً لشروط محددة ويستثنى اصحاب السفن والعاملون عليها من هذه الاجراءات إذ يقدم صاحب السفينة قائمه تضم اسماء اولئك الذين معه.

الاسباب المباشرة للثورة :-

قبل البدء في السبب المباشر للثورة لا بد من معرفة الفرق التي يتكون منها الجيش البريطاني في الهند المعروف ب (السيبوي) تألف من ثلاثة جيوش عسكرية هي جيش البنغال وجيش مدارس وجيش بومباي، وبلغ مجموع عدد السيبوي(311038) جندياً بينما بلغ عدد القوات البريطانية (39500) ويبدو إن الأعداد الصغيرة للأوربيين يعود الى انسحاب الكثير منهم واشتراكهم في حرب القرم و بلاد فارس وأن هؤلاء الأوربيين كانوا في البنجاب والبنغال , أما في كلكتا فلم تكن هناك أية كتائب أوربية، ما عدا كتيبة واحدة متمركزة في دينابور في بيهار إذ كان معظم الجنود في هذه المنطقة من طبقة البراهمه وما يقارب الثلث جاؤوا من أوده وشكلوا مجموعة متجانسة متماسكة في داخل الجيش، وبمرور الوقت تخلى أفضل الضباط البريطانيين عن كتائبهم لإشغال مناصب مدنية أكثر فائدة لهم، الأمر الذي أدى الى اعتماد الحكومة البريطانية على السيبوي في حروبها، لاسيما خارج الهند الامر الذي تنافى مع عقائدهم التي تعد كل من يغادر موطنه خارج عن طبقته منبوذاً.

أدى إصدار قانون التجنيد الالزامي عبر البحار لعام 1856 الى استياء شديد في جيش البنغال لأن هذا الاجراء يعرضهم لفقدان (طبقتهم ودينهم) وكان الرابط الوحيد بين السيبوي والحكومة الراتب الذي يحصلون عليه وتميز جيش البنغال عن جيشي مدارس وبومباي بمنح الترقيات على أساس الأقدمية فقط ولم يكن هناك سن تقاعدي, وفي سنة 1857 اقتنع السيبوي بأن البريطانيين مصممون على سلب مكانتهم الاجتماعية وتحويلهم بالقوة الى الديانة المسيحية وفي غضون ذلك تم طرد الكثير من السيبوي بسبب رفضهم تنفيذ الأمر بحل ذقونهم وشعر رأسهم، وبعد العديد من التجاوزات غير المباشرة على مكانة السيبوي الاجتماعية جاءت في كانون الثاني من سنة 1857 التصريحات بخصوص الطلقات المدهونة التي تستخدم في البنادق الجديدة التي تم

جلبها الى الهند فقد أشيع بأنها خليط من دهن البقر الحيوان المقدس لدى الهندوس ودهن الخنزير المحرم لدى المسلمين. إذ كان على من يستخدمها قضمها بفمه قبل وضعها في البندقية.

رفض جيش البنغال الانصياع الى لأوامر التي تشترط عليهم استعمال هذا النوع من الذخيرة، ومما دفع القادة العسكريين البريطانيين الى سوق هؤلاء الى محاكم عسكرية بتهمه عدم الانضباط العسكري، تصل أحكامها الى الإعدام لقادة العصيان، وأدت تلك الاجراءات بالتالي الى تصاعد روح التحدي وعصيان الجنود لأوامر قادتهم البريطانيين، وقد وصل الأمر الى قيام أحد الجنود الهنود في السرية الخامسة من الكتيبة(34)في فرقة المشاة المحلية في البنغال المدعو مانكال باندي باطلاق النار على ضابط بريطاني في 29 آذار 1857 ، كما تم اشعال الحرائق في باراكبور، وكانت تلك التطورات الفتيل الذي أشعل نار الثورة في عموم الهند.

اندلاع الثورة :-

توسعت أعمال العنف الثورية بشكل سريع في مناط مختلفة من الهند، ففي 10 آيار 1857 تمرد الجيش الهندي في ميروت شمال غرب دلهي وتحول الى ثورة انتشرت بسرعة متخذة هوية الثورة الشعبية لأجل استقلال الهند لاسيما بعد صدور الحكم بالسجن لمدة عشر سنوات على 58 جندياً من الكتيبة المحلية لمحطة ميروت ، بسبب رفضهم استخدام الطلقات المدهونة وثار زملاؤهم وقاموا بقتل الضباط البريطانيين وحرق المحطة العسكرية البريطانية، وحرروا السجناء، وفي اليوم الثاني توجهوا بمسيرة مسلحة نحو دلهي يهتفون بعبارة (نمضي قدماً الى دلهي) لم يبذل أي جهد لمنع الثوار من الوصول الى دلهي سوى قيام بعض الجنود البريطانيين بنسف مخزن للبارود ليحرم السيبوي من الاستيلاء عليه، وقيام عامل التلغراف من إرسال برقية الى البنجاب، فضلاً عن عدم وجود قوات بريطانية في دلهي، بل كانت تحت حماية ثلاث فرق من السيبوي الذين

انضموا الى الثوار، وفتكوا بالسكان البريطانيين والهنود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية بطريقة بشعة، ومن تبقى منهم هرب والبعض الآخر تحصنوا بالقرب من المدينة، وبوصول الثوار الى دلهي اعلنوا بهادر شاه امبراطوراً للهند وقائداً لهم وقد تفاجأ الأخير باندلاع الثورة كما تفاجأ البريطانيون، لكنه تولى القيادة بشيء من التردد بيد أنه مكانته كإمبراطور للهند أعطى للثورة سلطة رسمية وعزز خطابها.

انتشرت الثورة بعد سقوط دلهي في شمال الهند لتشمل كاونبور ولكناو عاصمة أودة والمناطق الزراعية في أودة، ما أدى الى هروب الموظفين المدنيين بسبب غياب القوات البريطانية الداعمة لهم ودخلت البلاد في حال فوضى قاتل الهندوس جنباً الى جنب مع المسلمين، بينما كانت البنجاب والبنغال مخلصتين للبريطانيين على الرغم من تعاطف البنجابيين قليلاً مع السيبوي الذين اجتاحوهم مؤخراً إلا أنهم لم يمتلكوا أية عاطفة تجاه الامبراطور فقد استطاع البنجابيون بجهود السير جون لورنس من نزع سلاح كتائب الجنود السيبوي وتنظيم جيش صغير من الجنود الأوربيين وأصبحت البنجاب والبنغال قاعدة لانطلاق القوات البريطانية وتمكن لورنس من الحفاظ على علاقته الجيدة بالأفغان، إذ أدرك رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون بأن المحافظة على الإمبراطورية الهندية قد يتطلب استخدام القوة العسكرية.

اسباب فشل الثورة:-

اتسمت الثورة الهندية في مراحلها الأولى بسرية التنظيم لكن اندلاعها قبل نضوجها أدى الى عرقلة خطط قادتها، وفي الوقت نفسه ورثت الثورة مظاهر الضعف في النظام القديم، الذي حاول يائساً اخراج البريطانيين من البلاد، وعلى الرغم من تمتع الزعماء الاقطاعيين بتعاطف السكان، إلا إنهم اتسموا بعدم القدرة والافتقار الى التنظيم والنسبي ، إذ وقف الكثير منهم متفرجاً لمعرفة الطرف المنتصر.

من أهم أسباب فشل الثورة، نجاح البريطانيين في إضعاف أواصر الوحدة الوطنية، وغياب القيادة الوطنية الموحدة ومما يثير الدهشة أن القوات البريطانية نجحت في الحصول على دعم القوات السيخية، التي تعد من ألد خصوم المحتلين، وكذلك حصولها على دعم ومساعدة الكوركا، ما أدى الى اضعاف الرا بطة الوطنية بين أبناء الشعب الهندي، فضلاً عن غياب التخطيط بين قادة الثورة، وضعف وسائل الاتصال بين بعضهم البعض في سنوات اندلاع الثورة.

وقد كان من أسباب عدم نجاح الثورة غياب القيادة الموحدة، فلم تكن هناك شخصية قيادية تكون منقذه للشعب من بين زعماء الثورة تستطيع تنظيم وقيادة الثوار ولملمة شملهم وكسب إعجابهم لأجل تحقيق مصالح موحدة، وأن كثيراً من رموز الثورة كانوا قد قدموا مصالحهم الشخصية على حساب المصلحة الوطنية، كما اتصفوا بالأنانية وعدم القدرة على التخطيط وفقدان الشجاعة الكافية لخوض المعارك على نطاق واسع ومنهم بهادر شاه فعلى على الرغم من شعبيته الكبيرة لم يكن له دور فعال في الثورة، إذ كان مجرد شخصية مشهورة ولم يكن قائداً لعملياته، وفي الجانب الآخر فأن القادة البريطانيين مثل جون لورنس و اوترام و هافيلوك كانوا منظمين ومخططين مقتدرين، إذ كان لسياسة جون لورنس في الحفاظ على البنجاب ونظرته الثاقبة الأثر في النجاحات التي حققها البريطانيون في الهند، إذ أمتاز بالنظرة الثاقبة.

كانت القوات العسكرية المحلية سيئة التدريب والمعدات وتنقصها الإمكانية القتالية لمواجهة حرب شديدة وافتقر الثوار لفهم استراتيجيات الحرب فمع أن دلهي مثلت النقطة الأساسية والمهمة في الثورة وان سقوطها يعني كسر العمود الفقري للثوار بيد أن الثوار لم يحاولوا انقاذها عندما تمت محاصرتها من القوات البريطانية، ولم يبادر (نانا صاحب) بإرسال قوات من لكناو لإنقاذ العاصمة، إذ ربما كان يخشى من أن يقود نجاح الثوار في دلهي الى بهادر شاه ولاسيما أن نانا صاحب لم يكن مستعداً للتعامل معه.

ومن الأسباب التي أدت الى فشل الثورة عدم اشتراك جميع اجزاء الهند فيها واقتصارها على الاجزاء الشمالية، فلم تشترك الاجزاء الغربية والشرقية والجنوبية فيها، وبقيت السند والنيبال مخلصتين للبريطانيين، وان (دوست محمد) في أفغانستان قدم مساعدة للبريطانيين، في حين لم يحصل الثوار على دعم شعبي من الاجزاء الشمالية الغربية من الهند التي تشكل الآن باكستان، كما لم يحصل الثوار على دعم من سكان البنجاب و راجبوتانا؛ لأنهم كانوا يفضلون الإدارة البريطانية المنضبطة على الإدارة الفوضوية للامراء الهنود، وساندت الطبقة المتوسطة التي نشأت في ظل الحكم البريطاني القوات البريطانية للحفاظ على مصالحها .

ومن الأمور التي كانت لصالح البريطانيين انتهاء حرب القرم لصالحهم، قبل اندلاع الثورة الهندية، ما سهل عليهم مقاومة الثورة واخمادها، والتخلص من الدعم الروسي للثوار، إذ كان الثوار معزولين دولياً وان الأمل الوحيد الذي كان يراودهم هو تحقيق الانتصار قبل وصول الامدادات من بريطانيا, كما أدى تطور جهاز الاستخبارات البريطانية دوراً مهماً في اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الثوار، فقبل الهجوم على لكناو وصلت معلومات توزيع القوات المحلية في لكناو، الى العقيد كولن كامبل الذي اقترب بقواته من لكناو، وقد سرع ورود هذه المعلومات بتقدم القوات البريطانية للاستيلاء على لكناو، فانتهت الثورة بانتصار عسكري بريطاني ولم تنته بأية اتفاقية أو شروط للتسوية، إذ لم تكن هناك أي جهة يمكن التفاوض معها.

سياسة بريطانيا بعد فشل الثورة 1858-1914:-

أقدم الإنجليز على تأكيد مخططاتهم وما كانوا يحاولون ستره بأشكال مختلفة، فقد أصدرت الملكة فكتوريا في 1 تشرين الثاني 1858بنقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية إلى الحكم البريطاني، وبذلك دخلت الهند رسميًا ضمن مستعمرات التاج البريطاني. ثم صدر عن الحكومة البريطانية عام 1858 مرسوم بحل شركة الهند

الشرقية البريطانية وصارت ملكة بريطانيا منذ عام 1877 امبراطورة الهند ، وجعل صاحب منصب وزير شؤون الهند الحاكم الأول لشبه القارة الهندية تحت اسم: نائب الملك ومنذ ذلك الحين قسمت الهند إلى ولايات، وكل ولاية قسمت إلى عدة مديريات يشرف عليها موظفون بريطانيون، فجعلوا الهند سوقاً احتكارياً للمنتجات البريطانية، يساعدهم على أداء مهمتهم جيش من الموظفين والعسكر الهندي من أصحاب المراتب الدنيا.

تأسيس حزب المؤتمر الوطني الهندي وتطور دوره النضالي:-

تعد المدة بين 1835-1860 مرحلة انتشار الوعي بين أفراد الشعب الهندي، أسهم في التعجيل بها قيام البريطانيين بإدخال وسائل أنتاج جديدة وتوظيف رؤوس الأموال البريطانية لخدمة مصالحهم الاستعمارية ، إذ أدى ذلك إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدة أخذت تتأثر بالحضارة الغربية.

إما المدة بين 1860- 1880 فهي مرحلة تطور نوعي في الحركة القومية الهندية التي أخذت شكل نواة لمنظمات وجمعيات سياسية مختلفة انتشرت في المدن الرئيسة في الهند وقادت إلى ظهور أكبر تجمع سياسي في شبة القارة الهندية وهو حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي تأسس عام 1885 من قبل مجموعة من الفئات العليا المتعلمة في الهند، وقد كانت مطالبه معتدلة ومتواضعة وأكدت على الولاء للحكومة البريطانية ،وقد حرص الحزب على يكون ممثلاً لكل القوميات والديانات، وكان فيه تيارين رئيسين هما:-

1- التيار الليبرالي: ضم الفئات الوسيطة وكبار ملاكي الأرض، وقد قام بانتقاد السياسة البريطانية، وطالب بتوسيع الحقوق الممنوحة للشعب في الإدارات المحلية.

التيار الثوري: ضم الفئات الوطنية المثقفة الشابة وبعض الصناعيين، 2- وكانت مطالبه ترتكز على مقاومة الاحتلال البريطاني ونيل الاستقلال والسيادة الوطنية في عموم الهند.

وقد مر حزب المؤتمر الوطني الهندي في نضاله في الحركة الوطنية إلى ثلاث مراحل هي :-

المرحلة الأولى: تمتد من 1885- 1907 وهي المرحلة التي سيطرت 1- عليه مجموعة من المثقفين المتأثرين الثقافة الغربية ،إذ لم تكن المطالبة بالاستقلال هدف الحزب.

المرحلة الثانية: تمتد من 1907 - 1914 وهي المرحلة التي اشتد فيها 2- الصراع بين الفئات المحافظة والفئات التقدمية التي دعت إلى مقاومة الاستعمار البريطاني والمطالبة بالاستقلال .

المرحلة الثالثة: تمتد من 1920 وما بعدها وهي المرحلة التي تولى فيها 3- المهاتا غاندي قيادة الحزب وأخذ يدخل في عملية المقاومة النضال أفكار جديدة ومبتكرة استندت إلى سياسة (اللاعنف)وعدم التعاون مع البريطانيين.

وأصدر اللورد كيرزون قانونين أحداهما في سنة ١٩٠٤ والاخر في سنه ١٩٠٥ أثار هذان القانونان مقاومة شاملة في الهند، فكان الاول هو قانون الجامعات الهندية وهو بمثابة محاولة من كيرزون لتقوية رقابة الدولة على التعليم الجامعي إلا أن الهنود عدوه مؤامرة للحيلولة دون وصولهم الى التعليم العالي فثاروا عليه ولم تكد تنتهي هذه الثورة حتى تفاجي الهنود بقانون آخر هو تقسيم البنغال عام ١٩٠٥ ، والبنغال هي منطقة هندية واسعة تشمل حينذاك كل من بيهار وأوريسا وأسام ومساحتها خمسة ملايين

متر مربع ونفوسها ثمانية وسبعين مليون نسمة وهي تمثل ثلث سكان الهند وكان البنغال أول اقليم سيطر عليه البريطانيون ، وتم تقسيم البنغال الى مقاطعتين أحداهما تضم شرق البنغال وآسام مع أغلبية سكانية مسلمة وتضم المقاطعة الثانية بيهار وغرب البنغال مع أغلبية سكانية هندوسية تحت ذريعة الصعوبات الادارية بسبب كبر حجم الاقليم وأن المقصود بتقسيم البنغال هو اقامة قوة اسلامية في شرق البنغال لكبح القوة المتزايدة من المتعلمين الهندوس، وأتاح تقسيم البنغال للمسلمين اقامة منطقة خاصة بهم يعبرون فيها عن شخصيتهم و مكن لهم أيجاد مناطق خاصة بهم يغلب فيها طابعهم الرسمي .

ثورة البنغال 1905- 1907

البنغال هو إقليم هندي واسع المساحة ،يشكل نفوسه ثلث سكان البلاد وقد تعرض الإقليم إلى الاستعمار البريطاني وعانى من وطأة حكمه، وقد حرصت بريطانيا إلى تقسيم البنغال إلى منطقتين أحدهما غربية والأخرى شرقية وذلك لإذلال أهل الإقليم وإضعاف قوتهم ،لكن سكان البنغال تصدوا لهذا الإجراء التعسفي الذي اتخذ في البداية شكل الاحتجاج ،وتوقيع التماس من قبل حوالي سبعة ألاف شخص ليتطور إلى تجمع جماهيري ضخم ،لكنه سرعان ما تحمل إلى مظاهرات كبيرة طافت الإقليم، قام فيها زعماء الحركة الوطنية بإلقاء الخطب الحماسية ،وتقرر فيها مقاطعة شراء البضائع الأجنبية ،وقد استجاب أبناء الشعب الهندي لهذه الدعوة ونتيجة لذلك فقد منيت صناعة المنسوجات والغزل بخسائر كبيرة، وقد تكاتف الهندوس والمسلمين في دعم هذه الانتفاضة التي تطورت إلى إضراب عام شمل كل مناطق البنغال، مما دعا السلطات البريطانية إلى محاولة قمع الانتفاضة فقامت باعتقال قادة الانتفاضة وعدد كبير من المشاركين فيها وحتى أطفال المدارس، كما قامت برشوة بعض الوجهاء والمتنفذين

الذين ساهموا في أضعاف وحدة الهندوس والمسلمين، فكانت السبب الرئيس في أخفاق هذه الانتفاضة.

قانون المجالس الهندية عام ١٩٠٩

طلب في شباط عام ١٩٠٩ وفد مسلم من اللورد جون مورلي وزير الدولة لشؤن الهند في الحكومة البريطانية (1905–1910) التخلي عن المخطط ألانتخابي القديم وكان طلبهم يقوم على أساس أن أعضاء المجلس يجب اختيارهم بالتصويت المباشر على أساس المجموع الطائفي من أجل الحفاظ على هوياتهم فضلا عن منحهم مقاعد في المجلس التشريعي وقد أرسل منتو رسالة الى مورلي في السابع من نيسان عام ١٩٠٩ يحثه فيها على قبول تمثيل المسلمين تمثيلا منفصلا في هذه المجالس وبالفعل تم دمج هذه المطالب في قانون المجالس الهندية الصادر عام ١٩٠٩ والذي عرف أيضًا بإصلاحات مورلي منتو.

كانت أهم بنود الاصلاحات في قانون المجالس الهندية هي :-

١- فتح أعلى مراكز المسؤولية أمام الهنود وتمثل ذلك بتعيين عضوين من الهنود في مجلس الهند الاعلى أحداهما مسلم والاخر هندوسي وتعيين أول عضو هندي في المجلس التنفيذي المركزي وأعضاء آخرين في المجالس التنفيذية من بومباي ومدراس .

٢- زيادة عدد الاعضاء الهنود في المجالس التشريعية في مقاطعات الهند البريطانية وإضافة مبدأ انتخابهم من قبل هيأة ناخبة هندية الى مبدأ التعين ,وقد أرتفع عدد الاعضاء الهنود غير الموظفين الى خمسمائة عضو, كما سمح قانون١٩٠٩ بإضافة خمسين آخرين الى المجلس التشريعي في كل من المقاطعات المتحدة ومقاطعة شرق البنغال واسام وثلاثين عضوًا في باقي المقاطعات , وعلى الرغم من أدخال مبدأ

انتخاب الاعضاء الهنود الى جانب مبدأ التعيين في المجالس التشريعية فأن عدد الاعضاء الهنود المنتخبين لعضوية هذه المجالس في الهند البريطانية كان نحو مائة وخمسة وثلاثون عضوًا فقط.

٣- منح الهنود المسلمون تمثيلا منفصلا في هذه المجالس .

وبهذا يكون قانون المجالس الهندية أدخل مبدأ الطائفية لأول مرة في الحياة السياسية الرسمية في الهند , وذلك بفصلها الناخبين المسلمين عن جمهرة الناخبين، من جهة ثانية كان عاملا اضافيًا من عوامل الانقسام في الحياة السياسية في الهند، سارت علية السلطات البريطانية بعد عام ١٩٠٩ والذي ساعد دون شك تمهيد الطريق للانقسام الفعلي في شبة القارة الهندية واقامة الدولة الاسلامية في باكستان.

وعلى وفق قانون المجالس عام ١٩٠٩ فقد أخذت الربطة الاسلامية تقترح أسماء مرشحين مسلمين لكل منصب رسمي شاغر وطالبة بالتوازن بالتعينات وأخذه بمبدأ الدوائر الانتخابية الاسلامية مستقلة في الوقت الذي عد فيه حزب المؤتمر الوطني الهندي أن هذا المبدأ غير ديمقراطي وغير وطني ، وأعتقد أن أي تسجيل ديني سواء كان اسلاميًا أم كاثوليكيًا هو عمل تخريبي خطير بالنسبة لأنشاء الدولة العلمانية الحديثة التي لاتمييز بين مواطنيها .

ووفقًا لقانون المجالس الهندية فقد أنتخب (محمد علي جناح) في كانون الثاني١٩١٠ عضوًا في المجلس التشريعي الامبراطوري المركزي ممثلا عن مدينة بومباي وخلال وجوده داخل المجلس وقعت بينه وبين اللورد منتو مشادة كلامية لأن محمد علي جناح وصف معاملة حكومة الناتال ألاستعمارية في جنوب أفريقيا للهنود المقيمين فيها بالقاسية واللاإنسانية فرد عليه اللورد منتو أن هذه الكلمات ليست من

الكلمات البرلمانية التي تسمع من أعضاء المجالس بيد أن محمد علي جناح أستمر في كلامه وأكد أن المعاملة التي أبتلي فيها الهنود في جنوب أفريقيا أقسى مايمكن أن يتخيله المتخيل وأن الشعور الذي تقابل في الهند شعور أتفاق وأجماع.

الغاء تقسيم البنغال:-

في نهاية عام ١٩١٠ خلف اللورد منتو نائب الملك اللورد هاردنغ(1910-1916) الذي أوصى بإعادة توحيد البنغال وأنشاء مقاطعه منفصله تتكون من بيهار و اوريسا والسبب يعود الى ثورة الهندوس على البريطانيين واشتداد حملتهم عليهم يقودهم حزب المؤتمر الوطني فتراجع الانكليز عن قرارهم بتقسيم البنغال فألغوه عندما أعلن الملك جورج الخامس من دلهي في كانون الأول عام١٩١١ الغاء قرار تقسيم البنغال، وأصبحت دلهي العاصمة الجديدة للهند البريطانية وبنقل العاصمة من كلكتا الى دلهي عاصمة المجد المغولي كان الهدف منه توحيد البنغال وطن الهندوس ألأم الى تهدئة نفوس الهندوس البنغاليين.

رأى بعض النواب الهنود في الغاء التقسيم استسلامًا وخنوعًا من قبل حكومة الهند للأعمال الفوضوية التي أثارها حزب المؤتمر ورسالة بسيطة موجهة الى المسلمين فضلا عن أعتبا رها من جانب الهندوس أن التقسيم سيحقق المطالب المهملة لمسلمي البنغال الشرقية وأن ما سيحصل عليه المسلمون وان يكن قليلا يعد خسارة جسيمة بالنسبة لهم وأن صرف النظر عن التقسيم سيكلف الحكومة البريطانية غاليًا .

أدى ألغاء تقسيم البنغال وسياسة بريطانيا الخارجية في سنوات ما قبل الحرب العالمية الاولى الى إثارة شعور من الاستياء لدى المسلمين الهنود، فبعد احتلال المغرب وليبيا الواحدة تلو الاخرى من قبل الدول الاوربية أستنكر المسلمون سياسة بريطانيا الخارجية في حين أن حرب البلقان في شرق أوربا ١٩١٢-١٩١3جعلت المسلمين في

الهند يشعرون بأن هناك هجومًا عامًا على الاسلام مما أدى الى زيادة نشاط حزب الرابطة الاسلامية في الهند وعلى أثر ذلك عقد حزب الرابطة الاسلامية اجتماعًا له في مدينة بانكي بور في كانون الاول لعام ١٩١٢ خلال هذا الاجتماع اكدوا على هدفهم في الحصول على نظام حكم ذاتي مناسب للهند يتم الوصول اليه من خلال الوسائل الدستورية والاصلاح المستمر لنظام الادارة القائم وتقوية أواصر الوحدة الوطنية ونشر الوعي بين صفوف الشعب الهندي من خلال التعاون مع بقية الطوائف في سبيل هذا الهدف.

المحاضرة الثالثة

ايطاليا من مؤتمر فيينا حتى تحقيق الوحدة

في سنة 1858 وعشية انطلاق الإيطاليين في طريق تحقيق آمالهم في الحرية والوحدة كانت بلادهم لا تزال مقطعة الأوصال تتجاذبها الدول الكبرى حكامها وأمراءها وتجعل منها مسرحاً لخلافاتها وهدفاً لمصالحها المختلفة والمتعارضة في غالب الأحيان. في ذلك الوقت كانت خريطة شبه الجزيرة الإيطالية السياسية لا تزال كما رسمها منذ حوالى ثلث القرن الساسة الأوروبيون في مؤتمرفيينا.

ففي الشمال تقوم مملكة صغيرة فقيرة تسمى مملكة سردينيا واحياناً مملكة البيامون وتضم بلاد البيامون الفقيرة المجدبة الواقعة عند سفوح جبال الألب، وجزيرة سردينيا القاحلة المغرقة في التخلف وأراضي السافوا والسافوا العليا ونيس، وأراضي

جنوى. وكان يحكم هذه المملكة فيكتور عمانوئيل الثاني من آل سافواي، من عاصمته مدينة تورينو.

وفي الشمال الشرقي من البلاد كانت اللومبارديا والبندقية الغنيتان بثرواتهما وموقعهما الجغرافي وتاريخهما الحافل بالأمجاد والإنجازات الحضارية، لا تزالان رغم تكرار تمردهما تعيش في أغلال الذل والاحتلال وتحكمان حكماً مباشراً من قبل حكومة فيينا.

أما في الوسط فتقوم دولة قداسة البابا ترعاها عواطف المتدينين من الكاثوليك في كل مكان وتحميها الجيوش الفرنسية بحرابها وبنفوذ باريس القوي. وحول الدولة البابوية كانت الدويلات الصغيرة التي أقامها مؤتمر فيينا لا تزال حية في ظل أمراء وحكام يشايعون النمسا ويؤيدونها وينفذون سياستها الرامية إلى قمع كل حركة حرة والقضاء على كل رغبة في الاستقلال والوحدة. وأبرز هذه الدويلات دوقيات بارم وموديا وتوسكانا.

وفي الجنوب تقوم مملكة الصقليتين التي تضم القسم الجنوبي من شبه الجزيرة الإيطالية وجزيرة صقلية. ويحكم هذه الدولة ملك من آل بوربون يقيم في عاصمته نابولي ويفرض على رعاياه حكماً هو غاية في الرجعية والاستبداد والظلم.

وإلى جانب هذا التمزق كانت هناك موجة من الرجعية والاستبداد والحكم المطلق تطبق بأحكام، منذ فشل ثورات سنة 1848 في إيطاليا وعودة سيطرة النزعات المحافظة في فيينا، على أكثر مناطق شبه الجزيرة.

في وسط هذه الأوضاع السيئة كانت مملكة سردينيا، وهي الدولة الوحيدة التي بقي الحكم فيها يهتدي في مسيرته بهدي دستور على شيء من الديموقراطية تبدو للوطنيين الإيطاليين المضطهدين والمشتتين داخل بلادهم وخارجها كواحة أمل ومبعث

رجاء بمستقبل أفضل. كان يعزز هذه الآمال وجود ملك، على عرش تورينو، هو فيكتور عمانوئيل الثاني عرف أكثر من مرة كيف يقف بوجه النمسويين وكيف يحول دون تدخلهم في شؤون بلاده، كما أنه كان قريباً من أفكار الوطنيين ودعاة الوحدة ميالاً لمبادئهم محباً للإصلاح والعمران. ومنذ وقف بوجه النمساويين وحافظ على دستور بلاده أخذ يتقرب منه زعماء وطنيون طالما كانوا يعلنون الرفض ويبدون المعارضة ويرفضون الملكية في إيطاليا. فأكثر أنصار وأشياع مزيني المعروفين بثوريتهم وميلهم للجمهورية التفوا حول عرشه وأعلنوا الولاء والإخلاص له لاسيما منذ أن استدعى الزعيم الوطني كافور وسلمه زمام الحكم سنة1852 . وكذلك اجتمع إليه واستمع إلى آرائه الزعيم الثائر الجمهوري غاريبالدي، فأحبه وآمن به زعيماً ومخلصاً وأنكر من أجله الجمهورية التي طالما قال بها.

ولا بد من الملاحظة هنا أنه ربما كانت هناك دوافع تنبع من اعتبارات شخصية تجعل سردينيا مؤهلة للسير في طريق الوحدة. ذلك أن ملكها بحكمته وثقافته الواسعة وبعد نظره كان يشعر أن الوحدة هي قدر محتوم بالنسبة للإيطاليين وأنها آتية لا ريب فيها ولو في مستقبل بعيد وكان يرى من زاوية أخرى أن وضعه كأقوى حكام إيطاليا وسيد أكثر دولها تقدماً وحضارة، على فقرها وبعض تخلفها، يجعله صاحب الحق في القيادة والزعامة متى تحققت الوحدة. هذا العامل الشخصي كان يجعل بقية حكام وأمراء الولايات الإيطالية، يمعنون في السير في الطريق المعاكس، خوفاً من وحدة إذا قامت فإنها ستقضي على مصالحهم وتزيل دولهم وحكوماتهم. ثم أن أكثر هؤلاء كانوا يرون في تحقيق الوحدة قضاء على مصالح النمسا ونفوذها في إيطاليا، وهم ما وضعوا في أماكنهم إلا لكونهم إما عملاء لبلاط النمساوي أو تربطهم به رابطة نسب وقرابة.

أما إذا نظرنا إلى الشعب الإيطالي فإننا نراه ينظر إلى قضية بلاده بمنظار آخر. كانت مشكلته الأولى التي يسعى لحلها هي قضية التحرر من نير الحكم

النمساوي المطبق على أراضي الشمال الإيطالي والباسط نفوذه على أجزائها الوسطى. كان الشعب في كل مكان يرى أنه إذا لم يحقق ذلك فإنه لن يتخلص من أولئك الأمراء والحكام العملاء ومن حكمهم المستبد الظالم المتخلف. هذه كانت بصورة عامة نظرة الشعب الإيطالي إلى القضية القومية.

وكل ما كان يريد أفراد الشعب أن يحصلوا عليه بعد التحرير من الحكم الأجنبي هو نوع من الاتحاد الفيدرالي يوحد النشاطات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية في شبه الجزيرة. فالوحدة في البداية وإن كانت أمل الجميع إلا أنها كانت بالدرجة الأولى مطلب المثقفين والثوريين وعناصر الأحرار أكثر مما كانت مطلباً شعبياً عاماً.

كافور:

أن وصول كافور إلى الحكم في سردينيا سنة 1852 والتأييد العام الذي حصل عليه من الملك ومن مختلف الأوساط الوطنية والثورية قد أوجد معطيات جديدة ووفر إمكانيات غير منتظرة سهلت إلى حد كبير السير في طرق ذات هدفين متلازمين: الوحدة والتحرير. كان هذا الرجل سليل عائلة أرستوقراطية تملك الأراضي الواسعة في منطقة تورينو العاصمة حيث ولد سنة 1810 التحق على عادة أبناء العائلات الكبيرة في مطلع شبابه بالمدارس العسكرية وخدم في جيش بلاده برتبة ضابط. ثم هجر الجيش واهتم لمدة من الزمن بإدارة مزارعه وأراضيه. وكان في أوقات فراغه فيها، وفي انكلترا تعرف إلى عدد من كبار ساستها ودعاة النظم البرلمانية الديموقراطية فيها من أمثال بت وكاننغ وغراي فتأثر بهم إلى حد كبير وانطبع بأفكارهم. في كل مراحل حياته هذه ظل متمسكاً بالملكية مؤمناً بقدرتها على حل مشاكل بلاده وبصلاحها لأمته ما بقيت دستورية ديموقراطية. وفي نفس الوقت كان يتصل بالجمعيات السرية الإيطالية على اختلاف ميولها ونزعاتها ويتعاون معها كما أنه شارك في الأحداث الثورية سنة 1848.

وعلى صعيد الإصلاح الداخلي قرر إعطاء بلاده جيشاً قوياً حديثاً يستطيع أن يكون أداة لتنفيذ سياستها القومية وكلف الجنرال لامرمورا إعادة تنظيم الجيش وتحديث معداته وأساليبه وتدريبه على الحرب الحديثة. وخلال فترة وجيزة بات لسردينيا جيش يبلغ تعداده 90 ألف جندي على درجة حسنة من المقدرة والكفاءة. كما بنى لبلاده أسطولاً حربياً ثم صنع أكثر قطعه في ترسانات حديثة أقامها في مرافئ المملكة. وفي مجال الاقتصاد ساهم إلى حد كبير في قيام وتأسيس شركات صناعية وتجارية ومؤسسات مالية ومصارف هدف منها إدخال بلاده في العصر الصناعي لتلحق بركب الدول المتقدمة في أوروبا وكذلك إعطاءها اقتصاداً مزدهراً يقدر على القيام بمصاريف خزانتها المتزايدة النفقات. واهتم بإقامة شبكة من وسائل المواصلات الحديثة تتلاءم مع حاجات الدولة العصرية التي يريدها هو في زمن السلم كما في زمن الحرب. جعل من جنوى واحداً من أنشط وأحدث مرافئ البحر المتوسط وربط مدن المملكة بشبكة من الطرق الحديدية بلغ طولها 807 كيلومترات سنة 1859 وهو رقم كبير بالنسبة لذلك الزمن وبالنسبة أيضاً لمساحة المملكة الصغيرة.

أما في مجال السياسة الخارجية فكانت مهمة كافور أصعب وأشق. كان يعرف تمام المعرفة ما كانت تؤمن به جماهير الإيطاليين من أن أكثر دول أوروبا لا تريد وحدة الإيطاليين إن لم نقل تعاديها وتحاربها. وكان يعرف أيضاً أن النمسا هي خصم عنيد ليس فقط للوحدة وإنما أيضاً لتحرير إيطاليا من النفوذ الأجنبي. وهذه دولة قوية غنية لا تستطيع سردينيا وحدها أن تقهرها. ولذا كان لا بد للقضاء على معارضتها من الاستعانة بدولة أجنبية كبيرة تساعد الإيطاليين وتتبنى قضيتهم. وليس هذا بالأمر السهل على الإطلاق. فالدول الكبرى وهي وحدها قادرة على مخاصمة النمسا لم تكن في ذلك الوقت تنظر إلى القضية الإيطالية إلا من خلال مصالحها ولم يكن للاعتبارات الإنسانية والديموقراطية كبير شأن في موازين هذه الدول.

النمسا هي الخصم الأول والأكبر لقضية الشعب الإيطالي ولمطالبه في الحرية والجلاء والوحدة. وهي دوماً مستعدة للدفاع عن حدودها ونفوذها ومصالحها في إيطاليا بكل الوسائل بما في ذلك الحرب. والواقع أن القضية القومية في إيطاليا كانت مبعث خوف كبير بالنسبة للنمساويين فإذا انتصر مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها في إيطاليا وإذا ما تحررت هذه البلاد واتحدت فماذا يمنع الشعوب العديدة المختلفة القوميات في امبراطورية النمسا من أن تنحو هذا المنحى وعند ذلك ماذا يبقى من هذه الإمبراطورية العجوز الهرمة؟ فمبدأ القوميات خطر على سلامة النمسا لا تتساهل قيد أنملة في محاربته. وكان يزيد في تصلب موقفها إدراكها بأنه ليس من مصلحتها أن يكون على حدودها الجنوبية دولة إيطالية موحدة خصوصاً وان هذه الدولة ان لم تكن عدوة للنمسا فإنها لن تكون على الإطلاق في يوم من الأيام صديقة لها بسبب ما يفصل بينهما من تاريخ حافل بالأحقاد والمآسي والحروب.

وروسيا وإن لم تكن لها مصالح مباشرة في إيطاليا فإنها على كل حال شديدة التمسك بمقررات مؤتمر فيينا حريصة على الأوضاع التي أقامها في أوروبا. ومن هنا كانت تلتقي مع وجهة النظر النمساوية. ثم إن روسيا، وهي الإمبراطورية التي تضم شعوباً كثيرة الاختلاف في لغاتها وأديانها وعناصرها، لا تستطيع إلا أن تكون مناوئة لمبدأ القوميات ولحق الشعوب في تقرير مصيرها. بالتالي فقد كان على كافور أن يسقط روسيا من حسابه إن لم يكن عليه أن يضعها في صف أعداء قضية بلاده.

وفي إنكلترا، ذكرنا في السابق، أن الرأي العام كان يشايع قضية الإيطاليين ويرغب في تحررهم من النير النمسوي. وكان لقضية إيطاليا دعاة ومناصرون في كل مكان: في الجامعات والصحف في النوادي والأحزاب في الشارع وفي البرلمان. إلا أن كافور ما كان في بداية عهده بالحكم يأمل في الحصول على كبير عون من الإنكليز لكون هؤلاء لا يملكون جيشاً برياً قوياً وهو الأمر الذي يحتاجه لقهر النمسا. ثم هناك

ناحية هامة وهي أن الخط الرئيسي للسياسة الخارجية البريطانية كان يعتبر وجود النمسا كأمة قوية كبيرة ضرورة أساسية للمحافظة على توازن القوى في القارة وهو الشرط اللازم لاستمرار السلام والاستقرار في أوروبا. ولم يحصل تغيير ملموس في السياسة الخارجية البريطانية إلا بعد سنة 1859 حين تسلم رئاسة الوزراء في لندن اللورد بالمرستون ووزارة الخارجية اللورد راسل وهما من أشد أنصار القضية الإيطالية ومن أكثر دعاتها حماساً. ومع هذا فقد استطاعت الملكة فيكتوريا الشديدة التمسك بالنظام العام وبالأوضاع القائمة في أوروبا أن تكبح جماحهما وأن تعرقل مساعيهما إلى حد كبير وبالقدر الذي كانت تسمح به سلطاتها الدستورية.

فرنسا وحدها بدت بالنسبة لكافور واحة أمل يمكنه أن يسعى للحصول على تأييدها وعونها لأسباب عديدة وكثيرة أهمها:

إن فرنسا المهزومة سنة 1814 ما كانت تريد بحال من الأحوال المحافظة على الأوضاع التي أوجدها في أوروبا مؤتمر فيينا والتي لم تكن موافقة لمصالحها القومية. وهي قد تجد في مساعدة سردينيا فرصة ثمينة لتقويض جزء من هذه الأوضاع.

إن فرنسا تعتبر أن أراضي سافوي ونيس التي تقطنها أغلبية فرنسية هي بموقعها الجغرافي أقرب لأن تكون متممة فرنسا ن أن تكون إيطالية. فإذا تبنت فرنسا قضية مبدأ القوميات في إيطاليا فإن هذا قد يعزز موقفها ويساعدها على المساومة لتطبيق نفس المبدأ في هاتين المنطقتين. ولم تكن قضية المساومة هذه بعيدة عن أفكار كافور واستعداداته.

إن الإمبراطور نابوليون الثالث الذي عاش، قبل أن يرتقي العرش الإمبراطوري الفرنسي،ردحاً طويلاً من الزمن إلى جانب الإيطاليين وناضل معهم وشارك في أعمال جمعية الفحامين (الكاربوناري) كان يعطف على القضية الإيطالية ويعتبر نفسه إلى حد كبير ملتزماً بها. وإذا كان قد اضطر أثناء ثورات إيطاليا أن يقف في حزيران سنة

1849 موقفاً معادياً من حركات التحرر الإيطالية فإنه قد فعل ذلك تحت تأثير الضرورات القصوى للسياسة العليا الفرنسية، وبالتالي فإن ذلك لم يغير من عواطفه الحقيقة تجاه أصدقائه الإيطاليين. ووجد كافور أنه لا يزال بإمكانه بقليل من الديبلوماسية الحذرة والقدرة على المناورة إستغلال هذه العاطفة الشخصية لمصلحة بلاده وقضيتها.

إن فرنسا تعاني منذ هزيمة الإمبراطورية فيها من عزلة سياسية وديبلوماسية موحشة وسط الجماعة الدولية في أوروبا. وإذا كانت منذ ذلك الوقت قد تفككت الأحلاف وتغيرت بعض المواقف فإن الدول الكبرى لا تزال تحذر فرنسا وتخاف المفاجآت التي قد يطلع بها الشعب الفرنسي في أية لحظة. وهي اذا كان قد أمكنها أن تحقق تقارباً متزايداً مع انكلترا فإن هذه تبقى على كل حال دولة بحرية وفرنسا بحاجة لحليف ومؤيد في البر الأوروبي. فإذا ساعدت سردينيا في تحقيق أهدافها وأقيمت في إيطاليا بمساعيها ومساعدتها دولة كبيرة قوية فإنها ستكون دون شك الحليف الطبيعي لها والمؤيد لسياستها الأوروبية.

إنطلاقاً من هذه الاعتبارات الدولية ومع المراعاة الكاملة لأوضاع البلاد الداخلية وحاجاتها وضع كافور لبلاده الخطوط العريضة لسياسة خارجية ثابتة واضحة المعالم ظل يحافظ عليها حتى أوائل سنة 1858 . ويمكن تلخيصها بما يلي:

– أن يكون الهدف الأول والأقرب لتحرير إيطاليا من النفوذ النمساوي.

– طرح القضية الإيطالية على بساط البحث في الأوساط الخارجية بحيث يجعل منها قضية أوروبية يمكن أن تبحث في أي وقت بين الدول الكبرى.

وانطلاقاً من هذا الاعتبار رأيناه يفعل المستحيل ليشارك في حرب القرم إلى جانب الإنكليز والفرنسيين وذلك ليثير انتباه العالم إلى وجود أمته وليستغل فرصة أي مؤتمر دولي قد يعقد بعد الحرب فيطرح قضية أمته على صعيد أوروبي عام. وهذا ما

حدث بالفعل إذ جلس في مؤتمر باريس سنة 1856 إلى مائدة المباحثات وطرح قضية الاحتلال الأجنبي لبلاده طالباً من الدول الكبرى العمل على إيجاد حل سلمي لهذه المشكلة. العمل المستمر للحصول على تأييد فرنسا العسكري للقضية الإيطالية.

لقد سبق أن ذكرنا الاعتبارات التي تجعل فرنسا تميل لمساعدة سردينيا. إلا أنه كانت هناك بعض العوائق والعقبات عرقلت مهمة كافور وأخرت حصوله على المساعدة المرجوة. فالحزب الكاثوليكي الفرنسي، وهو دعامة نابوليون الثالث في حكمه، كان يرى في الوحدة الإيطالية خطراً على كيان الدولة البابوية يتهدد سلطانها الزمني بالزوال. وهو الأمر الذي لا يقبل به إطلاقاً. ثم إن تحقيق الوحدة وزوال دولة قداسة البابا كان يعني بالنسبة للحكومة الفرنسية جلاء قواتها المكلفة بحمايته عن روما وفي هذا خسارة سياسية ومعنوية لفرنسا. ثم إن فريقاً من الخبراء الاستراتيجيين والمخططين العسكريين في وزارة الحربية في باريس كانوا يجدون أن قيام إيطاليا قوية موحدة يخلق مزاحماً خطراً لفرنسا في البحر الأبيض المتوسط. إذاً فإذا كان، عند كافور، للفرنسيين أسباب عديدة تدفعهم لمساعدته فقد كانت هناك بالمقابل اعتبارات مهمة تمنع أو تعرقل على الأقل تحقيق ذلك. ولكن على كل حال بقي هناك شيء أكيد وهو أن نابوليون الثالث كان مصراً في أعماقه على مناصرة الإيطاليين وتقديم العون لهم مهما كانت الظروف والاعتبارات. وإنه كان ينتظر الفرصة المناسبة للعمل.

حاول في 14 كانون ثاني سنة 1858 أورسيني وهو مناضل وثوري إيطالي من أتباع مازيني الذي اضطهد وشرّد الكثير لتطرفه في وطنيته ، أن يغتال نابوليون الثالث وهو يهم بدخول دار الأوبرا في باريس. وقد فعل ذلك لأن الإمبراطور تقاعس عن مساعدة بلاده ولم يف بالعهد الذي التزم به تجاه القضية الإيطالية حين التحق في شبابه بإحدى جمعيات الفحامين (الكاربوناري). اتخذ نابوليون من حجة خوفه من الاغتيال ذريعة أمام معارضي سياسته واتجه ببطء نحو مساعدة الإيطاليين. ثم إن المحاكمة

العلنية التي أجريت لاورسيني وما رافقها من مرافعات بليغة وما أثير فيها من نقاش سياسي أوجد في الرأي العام الفرنسي موجة من العطف والتأييد لقضية أورسيني وبلاده. وحين صعد القاتل درجات المقصلة وجد فيه الفرنسيون بطلاً قومياً ولم ينظروا إليه كقاتل مجرم مع أن القنبلة التي ألقى بها قد قتلت ثمانية أبرياء.

اجتماع بلومبير :

عندما استقرت فكرة تقديم العون إلى سردينيا اتصل الإمبراطور بكافور ودعاه لمقابلة بينهما تمت في مدينة بلومبير الواقعة في شرقي فرنسا والغنية بمياهها المعدنية المفيدة. حضر كافور متخفياً وبجواز سفر يحمل اسماً مختلفاً وعقد الرجلان جلسة مباحثات في 21 تموز سنة 1858 في هذا الاجتماع أبدى نابوليون الثالث رغبته الأكيدة في مساعدة سردينيا وشرح وجهة نظره وتصوراته لمستقبل إيطاليا. كان نابوليون يرضي بها أصدقاءه ويراعي في نفس الوقت مصالح في آرائه هذه يحاول أن يجد تسوية فرنسا الأساسية ومختلف اتجاهات سياستها. اقترح أن يتم تنظيم شبه الجزيرة على الشكل التالي.

في الشمال تتسع أراضي مملكة سردينيا وتشمل الممتلكات النمساوية في لومبارديا والبندقية أي أن حدودها تصبح من جبال الألب إن البحر الأدرياتيكي.

يقوم في الوسط اتحاد بين ولايات وإمارات هذه المنطقة وخصوصاً بارم وموديا وتوسكانا.

وتبقى روما والأراضي المحيطة بها لقداسة البابا.

وفي الجنوب تظل مملكة الصقليتين على وضعها الحالي. ويتألف من هذه الدول تحاد عام يكون تحت رئاسة قداسة البابا ولو من الناحية الشكلية والقانونية على الأقل. وكثمن للمساعدة الفرنسية كان المفترض أن يأخذ الإمبراطور أراضي السافوي

ونيس. وكانت هناك أطماع فرنسية اخرى أشار إليها من طرف خفي. فقد كان يريد أن يجعل الدولة المقترحة في وسط إيطاليا مملكة يجلس على عرشها ابن عمه جيروم وأن يعطي المملكة الجنوبية لأحد الأمراء الفرنسيين من آل مورا.

أما فيما يتعلق بموعد تقديم المساعدة فإن نابوليون كان يريد إيجاد جو تصبح فيه النمسا هي

المعتدية وفرنسا دولة مدافعة. وذلك حتى لا تظهر الحكومة الفرنسية بمظهر المعتدية أمام شعوب أوروبا مما قد يعيد إلى أذهانها ذكرى نابوليون الأول وفتوحاته فتتحد ضدها. استمع كافور إلى آراء ومقترحات محدثه، والتي لم تكن تطابق كثيراً ما كان يريده ويسعى إليه، إلا أنه لم يكن في موقف يسمح له بالمعارضة والمساومة، رضي دون مناقشة وأخذ على عاتقه وضع خطة ترمي إلى إثارة الاضطرابات والقلاقل في مناطق الحدود بين سردينيا والنمسا. وقد اختار منطقة كارار بين بلاده ولمبارديا مسرحاً لهذا النشاط المقلق. وبذا تضطر النمسا لاستعمال القوة وقمع ما قد يحدث من اضطراب وحركات فيهب كافور لمساعدة المتمردين وبذا يتمكن نابوليون من التدخل بحجة الدفاع عن حليفته سردينيا. استمرت الاتصالات الديبلوماسية بعد ذلك عدة أشهر بين الفريقين انتهت بتوقيع معاهدة بين الدولتين، موجهة بالطبع ضد النمسا في 26 كانون الثاني سنة 1859.

الحرب بين النمسا وايطاليا:

ما إن شاع خبر المعاهدة بين البلدين ورغم بقاء نصوصها سرية حتى حدثت ضجة كبرى في أوروبا. لقد أدرك الجميع أن فرنسا تريد أن تحارب النمسا التي كان عليها بالطبع أن تبدأ بالاستعداد للحرب. تدخلت إنكلترا في محاولة لتفادي حرب أوروبية فعرضت اقتراحاً يقضي بسحب الجنود الفرنسيين من روما مقابل تخلي النمسا عن

بعض احلافها وبعض نفوذها في وسط إيطاليا على أن يبقى الوضع في المناطق الأخرى على حاله. تدخلت روسيا بعد ذلك واقترحت عقد مؤتمر للدول الخمس الكبرى لا تحضره سردينيا لبحث الوضع الجديد المتأزم في أوروبا والناتج عن المعاهدة الفرنسية السردينيه. قبل نابوليون المقترحات الروسية لأنه كان يهمه إلى حد كبير أن لا يخسر تأييد الدول الكبرى وأن لا يظهر أمامها بمظهر الراغب في الحرب بأن ثمن.

أخطأ سادة النمسا في فهم حقيقة الموقف الفرنسي فاعتقدوا أن فرنسا ما قبلت بمبدأ المؤتمر الخماسي إلا لكونها قليلة الرغبة في الحرب غير مستعدة لها الاستعداد اللازم. وكانوا أيضاً مستائين من الاستعدادات العسكرية في سردينيا ومن الحملات الصحفية الموجهة ضدهم في هذه البلاد وبسبب ما ورد في برلمان تورينو من أن الملك "لا يستطيع أن يسمع أنين الألم المنبعث من أنحاء إيطاليا دون أن يتحرك له " وفي أواخر نيسان سنة 1859 وجهت النمسا إلى سردينيا إنذاراً مدته ثلاثة ايام بضرورة نزع سلاح جيشها وتفريق افراده. رفض كافور بالطبع قبول الإنذار فكان إعلان الحرب، الذي طالما تمناه، من قبل حكومة فيينا التي ظهرت أمام دول أوروبا بمظهر الدولة المعتدية الرافضة لمحاولات السلام التي تقوم بها الدول الكبرى.

لم يتردد نابوليون في تقديم العون لحلفائه فوجه جيشاً يتألف من 115 ألف جندي تولى هو بنفسه مهمة قيادتهم وأطلق شعاريه الشهيرين« من الألب إلى الأدرياتيك » و « إيطاليا للإيطاليين »المعاديين لدرجة كبيرة لمصالح النمسا. هُزِمَ النمساويون في معركتين كبيرتين الأولى في 4 حزيران وتعرف باسم ماجنتا والثانية في 24 حزيران وتعرف باسم سولفرينو واحتل الفرنسيون والإيطاليون أراضي اللومبارديا وفتحت أمامهم أراضي البندقية التي وقف أمامها نابوليون فجأة ورفض أن يتقدم كما تعهد في البداية بأنه سيصل إلى الأدرياتيك، تاركاً أعداءه يتراجعون دون أن يجهز عليهم بصورة نهائية. بل أكثر من ذلك اتصل بخصمه امبراطور النمسا وتواعدا على اللقاء في فيلا فرانكا

حيث اتفقا في 11 تموز على توقيع هدنة أعطت اللومبارديا فقط لسردينيا واحتفظ النمساويون بأراضي البندقية وبسائر مصالحهم في شبه الجزيرة وقد تأكدت هذه الاتفاقية ببنود صلح زوريخ الذي تم التوقيع عليه بعد ذلك بين الدولتين في 10 تشرين ثاني سنة 1859 والذي جمع الدويلات الإيطالية في اتحاد برئاسة الحبر الأعظم.

جاء تصرف نابوليون الثالث الفردي بمثابة طعنة في صميم أماني الإيطاليين وآمالهم. لقد تخلى عنهم وهم على أبواب البندقية وقاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى الأدرياتيك وتحرير البندقية من النفوذ النمساوي وهو الأمر الذي تعهد به عند بداية القتال. لقد بدا لكافور أن جهوده المضنية كلها ذهبت أدراج الرياح. فإذا كان قد حصل على لومبارديا فإن النفوذ النمساوي لا يزال قائماً في إيطاليا والحكام الرجعيون فيها لا يزالون في أماكنهم. تغير موقف الإيطاليين بشكل جذري من نابوليون واتهموه بالغدر والخيانة والنكوص بالعهد. فما هي المبررات الحقيقية لهذا التحول في الموقف الفرنسي وما هي الأسباب التي جعلت نابوليون يتخلى عن نصر كان يبدو في متناول يديه؟.

الواقع أنه ما إن بدأت الجيوش الفرنسية تخوض أولى معاركها في إيطاليا حتى أخذت الأمور في أوروبا تجه بصورة متزايدة لغير صالح التحالف الفرنسي الإيطالي. البروسيون أخذوا يحشدون جيوشهم في منطقة الراين قريباً من الحدود الفرنسية بناء لطلب مساعدة تقدمت به امبراطوية النمسا من مجلس الديات الألماني. ونابوليون يدرك أنه لا يستطيع أن يحارب على جبهتين وضد عدوين قويين كبروسيا والنمسا إذا تحالفا. النمسا هزمت في معركتين كبيرتين ولكنها لم تنكس نهائياً وهي دولة كبيرة وغنية ولا تزال لديها القدرة والطاقة لمواصلة الحرب ولزمن طويل. ثم إن اتساع رقعة الجبهة وتوغل الفرنسيين باتجاه الشرق جعل خطوط مواصلاتهم تطول كثيراً وهو الأمر الذي يعرقل سرعة اتصالهم بالوطن الأم. يضاف إلى كل ذلك أن كافور ترك الفرنسيين يقاتلون على الجبهات وأخذ هو يعمل في الداخل على تحقيق أهدافه الإتحادية عن

طريق إشعال الثورات وتحريض السكان على أمرائهم وحكامهم الموالين للنمسا. وقد نجح سكان مودينا وتوسكانا بصورة خاصة في طرد حكامهما. هذه التصرفات من ناحية أثارت سخط الحزب الكاثوليكي الحاكم الذي رأى في تصرفات كافور في إيطاليا الوسطى خطراً يتهدد كيان الدولة البابوية، ومن ناحية أخرى رأى فيها نابوليون دليلاً على رغبة كافور في التفرد في العمل وربما في السير بطريق الوحدة إلى أكثر مما كان يريده هو وتسمح به المصالح الفرنسية.

وهناك أيضاً سبب إنساني هام. لقد كانت الخسائر البشرية كبيرة للغاية وخصوصاً في معركة سولفرينو. سقط ما يزيد على أربعين ألفاً من الجرحى من الفريقين مات الكثيرون منهم بسبب قلة الأطباء، ونقص الأدوية وانعدام العناية وفي ظروف مريعة من الأوجاع والآلام. كما انتشرت بين المقاتلين أمراض كثيرة ليس أقلها فتكاً الكوليرا.

أما كافور الذي رأى آماله تنهار كلها دفعة واحدة والذي استاء بصورة خاصة من رفض ملكه لفكرة مواصلة القتال دون فرنسا، ولقبوله ولو ضمنياً بشروط معاهدة زوريخ فقد عبر عن استيائه باستقالة رفعها إلى مقام العرش في تورينو. إلا أنه من جهة أخرى بقي يتابع عمله الوطني وظل هو المحرك الفعلي، من وراء ستار، لخيوط سياسة سردينيا.

وحدة ايطاليا الشمالية:

كانت الحملة الفرنسية باهظة التكاليف والنفقات. فإلى جانب الخسائر البشرية الكبيرة فقد دفعت خزينة فرنسا حوالي 420 مليون فرنك ومع كل ذلك فإن كافور رفض بإصرار أن يعطي نابوليون نيس وسافوي باعتبار أنه لم يف بالتزاماته وتعهداته تجاه سردينيا. وفوق هذا وذاك فإن سمعته ونفوذ فرنسا في إيطاليا قد تعرضتا لهزة عنيفة.

ومن خارج الحكم بدأ كافور يسعى للحصول على التأييد الديبلوماسي على الأقل من جانب انكلترا يشجعه على ذلك كون بالمرستون ورسل وهما من أشد أنصار القضية الإيطالية قد تسلما منذ سنة 1859 مقدرات رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية في بريطانيا. وكان يهدف من اتجاهه هذه الوجهة إلى أمرين: إما أن يحصل فعلاً على المساعدة الانكليزية أو أن تثور فرنسا مخافة التدخل البريطاني وتهب هي لنجدة كافور مما يعطيه آنذاك فرصة للاستفادة من المنافسة بين الدولتين. وقد حقق كافور بالفعل تقدماً كبيراً في هذا المجال.

كان كافور يعمل في الداخل على إلحاق جميع الأراضي الايطالية الشمالية بمملكة سردينيا. ولجأ لتحقيق ذلك إلى إثارة الفوضى والاضطراب في دول الشمال. شجع العناصر الوطنية في بارم وموديا وتوسكانا وبولونيا وفراري على التمرد والثورة ضد حكام هذه البلدان متجاهلاً نصوص معاهدة زوريخ. اشتعلت الثورات في هذه الدول وأبعد حكامها وانتخب مواطنوها جمعيات تأسيسية ثورية أبدت رغبتها في الانضمام إلى سردينيا. ورغم موافقة الإنكليز الصريحة على ضم هذه المناطق فإن كافور أراد الحصول على تأييد نابوليون أيضاً من جهة لأنه كان يشعر بأنه سيظل بحاجة إلى تأييده لتحقيق مراحل الوحدة العديدة فيما بعد ومن جهة ثانية لكي لا يغضبه فينحاز لصف النمسا. فتفاهم معه سراً ووعده بإعطائه الأراضي التي يطلبها مقابل تأييده لضم مناطق الشمال الإيطالي.

عندئذ عاد كافور إلى الحكم وأخذ يعمل علناً لتنفيذ سياسته. أجرى الاستفتاء الشعبي في الدوقيات الثلاث: بارم وموديا وتوسكانا وكذلك في الأملاك البابوية فجاءت النتيجة بأغلبية ساحقة مؤيدة للانضمام إلى مملكة سردينيا. وبموجب معاهدة عقدت في باريس وسردينيا في 12 آذار سنة 1860 تنازلت هذه الأخيرة للفرنسيين عن أراضي نيس وسافوي. وتكرس هذا الانضمام باستفتاء جاء بأغلبية ساحقة موافقاً لرغبة فرنسا.

وبذا صارت مملكة سردينيا تضم جميع أراضي الشمال الإيطالي ما عدا البندقية. وخسر قداسة البابا أربعة أخماس أراضيه فلم يعد هناك من مبرر لإعطائه الرئاسة على اتحاد الدول والممالك

الإيطالية.

ضم مملكة الصقليتين إلى سردينيا:

أما وقد سار كافور ببلاده شوطاً بعيداً وبسرعة غير منتظرة في طريق التحرير والوحدة فلم يعد بإمكانه الوقوف في منتصف الطريق مهما كانت العوائق: والخطوة التالية التي كان لا بد من الإقدام عليها هي ضم مملكة الصقليتين. ولكن كان هناك عرش قوي قديم لآل بوربون يمانع في ذلك. وقد لاحت للوطنيين فرصة مناسبة بادروا لاستغلالها. ذلك أن فرديناند ملك نابولي الذي توفي سنة 1859 خلفه في الحكم ابنه فرانسوا. كان هذا ضعيف البنية هزيل الشخصية قليل الخبرة في شؤون الحكم، أعجز من أن يدير مملكة فانتشرت الفوضى في أراضيه وقامت في سنة 1860 ثورة شعبية في جزيرة صقلية سحقها بوحشية وعنف. وأمام صرخات الإستغاثة من متمردي صقلية لم يتردد غاريبالدي وأصدقاؤه أنصار جمعية إيطاليا الفتاة في تلبية نداء الثائرين.فجمع ألفاً من الشبان المتحمسين وألبسهم القمصان الحمراء التي اشتهروا بها وجمع لهم من هنا وهناك بعض الأسلحة القديمة وعبر بهم البحر من جنوى وبموافقة ضمنية من كافور في

ايار .نزل في صقلية حيث انضمت إلى فرقته جموع كثيرة من الأحرار الوطنيين فاحتل بالرمو عاصمة صقلية وأقام فيها حكومة مؤقتة. وأخذ يستعد للزحف على البر الإيطالي وإحتلال العاصمة نابولي.

واجه كافور في هذه الأثناء مهمة صعبة للغاية. ذلك أن غاريبالدي المعروف بتطرفه في وطنيته وتعصبه القومي كان زعيماً شعبياً وجماهيرياً لم يمارس في يوم من الأيام الحكم والسلطان وهو بالتالي لا يمكنه أن يدرك الأبعاد السياسية والديبلوماسية لتصرفاته. فكان على كافور أن يسعى دوماً لجعله يتصرف بما ينسجم مع مقتضيات السياسة الدولية وما كان هذا بالأمر الهين السهل. في ذلك الحين لم تكن انكلترا في عطفها على قضية الإيطاليين قد وصلت إلى حد الموافقة على اتحاد سردينيا والجنوب الإيطالي. وهذا كان موقف فرنسا أيضاً. ولذا فقد قرر كافور أن يعلن في الخارج وأمام الدول معارضته الشديدة لتصرفات غاريبالدي وشجب صراحة اعتداءه على سلطات فرانسوا وهو ملك شرعي. وفي قرارة نفسه كان يؤيد غاريبالدي ويؤمن بصواب خطواته الهادفة لتحرير الجنوب، وبينما أرسل جيشاً لمنعه من الإبحار إلى صقلية إرضاء لفرنسا وانكلترا أمر قادة هذا الجيش بعدم التعرض إطلاقاً لجيش غاريبالدي. وبذا تمكن الجيش الشعبي من عبور مضيق مسينا الفاصل بين صقلية وجنوب إيطاليا ونزل على الساحل في 20 آب وفي اليوم التاسع من شهر أيلول استولى على العاصمة نابولي وقضى على العرش البوربوني هناك بصورة نهائية. وبذا وضع الوطنيون الإيطاليون الدول الكبرى مرة ثانية أمام الأمر الواقع وبات جنوب بلادهم تحت سيطرتهم. ولم تلبث إنكلترا أن غيرت من موقفها ووافقت على اتحاد الشمال والجنوب بعد أن علمت أن فرنسا كانت منذ أمد بعيد تخطط لإعطاء تاج نابولي لأمير فرنسي. وبذا كان التنافس بين الدولتين الكبيرتين هذه المرة أيضاً في خدمة كافور والقضية الإيطالية.

ضم الأراضي البابوية:

إنما مع انتصار غاريبالدي الجديد واجه كافور متاعب جديدة وخطرة للغاية.
فالقائد المنتصر لم يعلن فوراً انضمام الجنوب والشمال. وهو مع أنه سبق أن أعلن ولاءه لعرش فيكتور عمانوئيل الثاني إلا أنه غضب كثيراً بسبب إعطاء نيس وهي مسقط رأسه

لفرنسا وعاد يمجد الجمهورية ويتحدث عن فضائلها. وأكثر ما كان يخشاه كافور أن يبادر في نشوة النصر وبتأثير المتطرفين من أتباع مازيني لإعلان أراضي الجنوب جمهورية مستقلة. وبذا تبعد إمكانية تحقيق الوحدة بين شطري البلاد ويتعرض النظام الملكي في الشمال لخطر أكيد. وكافور كما رأينا شديد الإيمان بهذا النظام.

ثم إن غاريبالدي أعلن أنه سيتابع الزحف نحو وسط البلاد ليحرر ما تبقى من أملاك تحت السلطان البابوي. هذه الرغبة أفقدت كافور صوابه لأنه تخوف من أن يرتكب هذا الرجل أخطاء قد تودي بالوحدة الإيطالية بكاملها. ذلك أنه في زحفه إلى روما يفقد الوحدة الإيطالية عطف وتأييد الكاثوليك في كل مكان ثم أنه قد يصطدم هناك بالحامية الفرنسية المقيمة في المدينة وليس من السهل إدراك الأخطار التي قد تنجم عن ذلك.

رأى كافور أنه لا بد له من الإسراع في العمل الإيجابي قبل أن يرتكب غاريبالدي أية حماقة. إنما للوصول إلى الجنوب وإيقاف هذا الرجل عند حد معقول لا بد من اجتياز الأراضي البابوية والبابا لا يوافق على ذلك. فاستنجد كافور بصديقه وحليفه الذي لا يستغني عنه نابوليون الثالث. ولم يبخل نابوليون هذه المرة على الإيطاليين بالعون والمساعدة وسمح لهم بإختراق الأراضي البابوية للوصول إلى الجنوب ولو بالقوة المسلحة شريطة أن يجري ذلك بسرعة كبيرة تضع الرأي العام الكاثوليكي في فرنسا أمام الأمر الواقع ولا تسمح له بالتحرك.

تحركت جيوش سردينيا بسرعة مذهلة باتجاه الوسط ودخلت أراضي البابا في مقاطعتي المارش

وأومبريا بحجة القضاء على بعض أعمال الشغب، وقضت بسرعة على مقاومة جيوش المتطوعة البابويين في 18 أيلول سنة 1860.

وحين وصلت الجيوش السردينية إلى الجنوب تغلبت وطنية غاريبالدي وروحه القوية على كل اعتبار آخر. رحب بالشماليين وحيا الملك فيكتور عمانوئيل الثاني باعتباره ملك إيطاليا كلها. وبذلك يكون قد وافق على انضمام الشمال والجنوب في ظل النظام الملكي وكما كان يريد ويتمنى كافور. وقد أجريت بسرعة عمليات إستفتاء في الجنوب وفي المقاطعات المسلوخة عن الدولة البابوية جاءت معبرة عن رغبة جماعية في الوحدة مع سردينيا.

تحرير البندقية:

تمكن الإيطاليون من تحرير القسم الأكبر من أراضي شبه الجزيرة الإيطالية خارج نفوذ الحكومة الوطنية الموحدة. والغريب أن المناطق التي بقيت خارج نطاق الوحدة كانت هامة وعزيزة على قلوب الإيطاليين. فقد بقيت تحت سيادة البابا وبحراسة الحراب الفرنسية روما أعرق المدن الإيطالية عاصمة أباطرة الرومان ومدينة الرسولين القديسين بطرس وبولس ودرة بلدان شبه الجزيرة. كما ظلت تحت سيادة النمسا البندقية أجمل مدن إيطاليا واحفلها بعد روما بالأمجاد والتراث الحضاري وأعظم مدن أوروبا الغربية في العصور الوسطى. وكذلك ظلت بعيدة عن سيادة الدولة أراضي البترول وتريستا وايستريا. ولم تنس الحكومات الإيطالية ذلك ولكنها فضلت الاعتماد على عامل الزمن وانتظار الفرص المناسبة.

عندما تأزمت العلاقات بين النمسا وبروسيا سنة 1866 وباتت البلدان على حافة الحرب أخذ كل منهما يسعى للبحث عن حليق له بين الدول. فوجدت إيطاليا في ذلك فرصتها فأخذت تناور وتحاور الطرفين إلى أن وصلت إلى اتفاق مع بروسيا بضمانة نابوليون الثالث. نص الاتفاق المذكور على أن تقف إيطاليا بجانب بروسيا في أي صراع قد ينشب بينها وبين النمسا وان تقدم لها العون العسكري وبالمقابل تضمن لها في حال النصر الحصول على البندقية من النمسا. وفعلاً عقب هزيمة النمسا على يد

البروسيين تم الاتفاق في معاهدة الصلح بين الفريقين على أن تتناول النمسا عن البندقية لفرنسا التي تقوم بإهدائها لإيطاليا.

روما عاصمة ايطاليا:

ولم يبق على الإيطاليين سوى تتويج وحدتهم بنقل عاصمتهم إلى روما المدينة الخالدة. إلا أن الحامية الفرنسية فيها كان يحول دوماً دون تحقيق هذه الأمنية. وفي سنة 1870 لاحت فرصة مناسبة حين وقعت الحرب بين البروسيين والفرنسيين. سحبت فرنسا لضرورات عسكرية حاميتها من روما وانشغل الرأي العام الأوروبي عن قضية البابا بالحرب. عند ذاك بادرت حكومة إيطاليا لإعلان المدينة الخالدة جزءاً من الوطن الإيطالي واتخذها فكتور عمانوئيل الثاني عاصمة لملكه. ولإضفاء طابع الشرعية على هذا العمل جرى استفتاء في المدينة أقر الانضمام بأغلبية 99 % وبذا كانت نهاية آخر دولة دينية زمنية في أوروبا.

أحدث هذا التصرف قطيعة بين البابا والحكومة الإيطالية استمرت حتى سنة 1929 حين عقدت بين الفريقين زمن حكم موسوليني معاهدة (لاتران) التي أعطت للحبر الأعظم السيادة على بعض الأحياء المحيطة بكنيسة القديس بطرس ونصت على اعتراف الحكومة الإيطالية بالدولة البابوية المستقلة (الفاتيكان).

أما باقي المناطق الإيطالية لاسيما التيرول وتريستا فقد التحقت بالوطن الأم منهية مراحل الوحدة الإيطالية سنة 1919 وذلك بعد أن خرجت إيطاليا منتصرة من الحرب العالمية الأولى.

المحاضرة الرابعة

بروسيا ودورها في تحقيق الوحدة الالمانية

بسمارك:

ولد في سنة 1815 في براند بورغ البروسية. كان ينتمي إلى عائلة بروسية عريقة في أرستوقراطيتها محافظة على التقاليد العسكرية وعلى ولائها للعرش البروسي. تلقى دروسه في برلين ثم دخل العدلية وعمل فيها فترة وجيزة عاد بعدها إلى بلده ليمارس العمل في أراضي عائلته الواسعة. وبقي كذلك حتى سنة 1849 حين انتخبه سكان المقاطعة ممثلاً لهم في المجلس النيابي حيث قام بواجبه خير قيام لما أوتي من موهبة خطابية وحجة قوية بليغة. ثم عين بعد ذلك ممثلاً لبلاده في فرانكفورت أي في مجلس الاتحاد.

كان صاحب شخصية قوية جداً يدين بمبادئ ملكية استبدادية لدرجة تجعله يكره الشعب ولا يؤمن بحقه في الاشتراك بالحكم. هذه الصفات جعلت الملك يعينه بعد ذلك سفيراً لروسيا في باريس وقد بقي في فرنسا حتى سنة 1862 حين ترأس الوزارة البروسية.

ففي هذه السنة نشب خلاف بين الملك والبرلمان سببه رفض النواب الموافقة على اعتمادات عسكرية كبيرة طلبها العرش. وقد تأزمت الحال لدرجة أن الملك وضع كتاب استقالته. ولكن بسمارك حال دون ذلك وأخذ على عاتقه تحقيق رغباته. وقد تمكن من تجاوز معارضة المجلس وأخذ بعد ذلك ينظم الجيش والإدارة بما يكفل له تنفيذ أهدافه وغاياته.

هدف بسمارك:

جاء بسمارك إلى الحكم وهو يحمل برنامجا واسعا يسعى لتحقيقه بطريقة مدروسة علمية. كان يرى أن هدف كل حكومة بروسية يجب أن يكون تحقيق الوحدة

الألمانية إذ أنه كان يعتقد كما قلنا أن زعامة بروسيا في ألمانيا تفرض عليها القيام بأعباء الوحدة. وإذا لم تقم بروسيا بذلك فإن هذا يعني أن الوحدة لن تتحقق.

وكان بسمارك يرى أنه يوجد هنالك خصمان للوحدة يجب قهرهما كخطوة أولى هما: النمسا وفرنسا. ولذا فإنه أخذ يعد بروسيا لخوض حربين متتابعتين الأولى ضد النمسا والثانية ضد فرنسا.

قضية الشلزويغ والهولشتاين:

منذ أن استلم بسمارك الحكم في بروسيا كان يدرك مقدار العداء الذي تكنه النمسا للوحدة الألمانية. وكان يعلم أنه لا يمكن القضاء على هذا العداء عن طريق المفاوضات والمساومات لأنه متأصل ومتأت عن اختلاف أساسي في مصالح الدولتين سبق أن ذكرناه. لذا أخذ بسمارك يعد بروسيا للحرب متى أتت الفرصة السانحة. وقد جاءت هذه الفرصة في سنة 1866 حين حصل الخلاف بين النمسا وبروسيا حول مقاطعتي (الشلزويغ والهولشتاين). ذلك أنه كان وقع خلاف سنة 1864 بين الدانمارك والألمان حول ملكية هاتين الدوقيتين. وقد أدى هذا الخلاف إلى وقوع الحرب بين الدانمارك من جهة وبروسيا والنمسا من جهة أخرى. وقد انتهت الحرب إلى هزيمة الدانمارك وتقسيم الدوقيتين بين النمسا وبروسيا. وقد أعطيت الهولشتاين للنمسا.

أما الشلزويغ فأعطيت مع مدينة (كيال) لبروسيا. بعد ذلك باشر البروسيون في حفر القنال الموصلة بين بحر الشمال وبحر البلطيق. وقد رأت النمسا في ذلك تقوية للأسطول البحري البروسي وزيادة في نفوذ بروسيا على حساب مصالحها. فأخذت تعمل للحصول على بعض التعويضات لاسيما في سيليزيا مقابل ما حصلت عليه بروسيا من مكاسب.

وقد ظهر لبسمارك أن مشكلة الدوقيتين لن تحل إلا عن طريق الحرب ولما كان هو ينتظر هذه الفرصة لعلمه أنها لن تحل فقط المشكلة القائمة بل ستحل أيضاً مشكلة مستقبل الوحدة الألمانية من أساسها. وذلك لثقة بيسمارك بقوة جيشه وبقدرته على القضاء على فعالية الجيش النمسوي. أدرك الجميع في أوروبا أن الحرب واقعة لا محالة ولذا أخذوا يستعدون لها. وقد اجتمع في آخر شباط سنة 1866 مجلس الوزراء الألماني لبحث قضية الحرب وإمكانية الفوز فيها. وقد عرض الجنرال فون مولتكه القائد الأعلى للجيش رأيه بالوضع فقال: "أن بروسيا لا يمكنها وحدها أن تنتصر على النمسا. وإذا شاءت الانتصار فعليها أن تتحالف مع ايطاليا لأن وقوف ايطاليا إلى جانب بروسيا سوف يشغل ثلث القوى النمساوية مما يجعل امكانية انتصار البروسيين كبيرة جداً".

ومن ذلك اليوم بدأ بسمارك يوجه جهوده نحو ايطاليا لكي يتحالف معها. وقد أخذ من جهة ثانية يعمل على إثارة المشاكل بوجه النمسا لكي يجعلها تثور وتعلن الحرب هي. مما يجعل بروسيا لا تظهر أمام الدول الأوروبية بمظهر الدولة المعتدية.

وكان أول ما فعله في هذا المضمار أن قدم اقتراحاً للمجلس الاتحادي بان تكون وفود الدول ممثلة لشعوبها لا لحكوماتها (يجب أن يلاحظ أن ذلك يعارض إلى حد كبير معتقدات بسمارك). والغاية الحقيقية التي كان يهدف إليها بسمارك هي اظهار بروسيا أمام الألمان والرأي العام الأوروبي بمظهر المدافع عن حرية الشعوب واظهار النمسا من جهة ثانية بمظهر الدولة الرجعية المعادية لتحرر الشعوب وللديموقراطية.

وقد صدق بسمارك في ظنه إذ ما ان عرض الاقتراح الجديد حتى عارضتها النمسا بقوة وشدة مما أضعف موقفها إلى حد كبير في المجلس وجعلها تفكر جدياً في الحرب مع بروسيا وهذا ما كان يسعى إليه بسمارك.

وقبل أن ندخل في تفاصيل الحرب لا بد لنا من إلقاء نظرة على موقف دول أوروبا من هذه الحرب.

بريطانيا: لقد كان موقف بريطانيا من القضية موقف المتفرج إلى حد كبير ذلك أنه لم يكن لها مصالح مهمة في أوروبا الوسطى. هذا كان موقفها من القضية بصورة عامة ولكن كان يهمها من ناحية ثانية أن لا تقوى دولة على أخرى بحيث يختل التوازن في أوروبا الوسطى. وعلى كل حال فإن معارضة انكلترا هذه لا تتجاوز المعارضة الديبلوماسية إذ أنها لم تكن على استعداد اطلاقاً للتدخل المسلح لتحقيق ما تريد وللحؤول دون ما لا تريد.

ايطاليا: لم يكن لايطاليا مصالح حقيقية في أوروبا الوسطى. وهي لا يهمها إلى حد كبير التدخل في شؤون هذه المنطقة وان كانت لا تمانع ضمنا في قيام دولة ألمانية على حدود النمسا تهددها دوما وتقلل من استبدادها وغطرستها. ولكن من ناحية ثانية لأيطاليا قضية معلقة مع النمسا وهي قضية البندقية. فايطاليا على استعداد دوما للمساومة وللحرب أيضاً في سبيل الحصول عليها. ولذا فقد تركز موقف ايطاليا على أساس أن هذه مستعدة للوقوف إلى جانب بروسيا ومحاربة النمسا إذا كان في ذلك ضمان للحصول على البندقية.

روسيا: منذ أن تسلم بسمارك زمام الأمور في بروسيا بنى سياسته الخارجية على اساس قيام محور بروسيا روسيا إذ إنه اعتبر روسيا دائماً حليفته الطبيعية وذلك لأسباب مهمة جداً. إذ إن روسيا ليس لها أي مطامع في أوروبا الوسطى تتنافى ومصالح بروسيا فالمصالح الروسية موجودة في البلقان والشرق حيث ليس لبروسيا أية مطامع. هذا الواقع جعل قيام صداقة بروسية روسية أمراً طبيعياً بعد أن اتضح عدم تعارض المصالح وعلى هذا الأساس. تعاونت الدولتان في أوروبا طالما أن بسمارك كان

يحكم في بروسيا. وعندما عرضت قضية الحرب النمساوية البروسية وجدت روسيا نفسها مسوقة لتأييد بروسيا.

فرنسا: لقد كان نابوليون الثالث شديد العطف على كل حركة قومية حتى ولو كانت ألمانية. ولكن عطفه هذا كانت تحول دون ظهوره مصلحة فرنسا. إذ انه كان واضحاً بجلاء أن قيام دولة ألمانية موحدة على حدود فرنسا لن يكون في مصلحة هذه الأخيرة. ولذلك كانت فرنسا ترى كحل امكانية قيام ثلاثة اتحادات في ألمانيا : اتحاد الدول الواقعة شمالي الماين. واتحاد الدول الواقعة جنوبي الماين. واتحاد ثالث يشمل الأراضي التابعة للنمسا ومناطق السوديت. وإذا كانت بروسيا تقبل بهذه الشروط فإن فرنسا كانت على استعداد لتأييدها خصوصاً إذا ما تحالفت مع ايطاليا وتعهدت لها بتحرير البندقية. وعلى كل فإن فرنسا ليست مستعدة للاشتراك عمليا في المعركة مهما كانت الظروف والأسباب ولذا فإن موقفها يتسم بالحياد بصورة عامة.

المفاوضات:

بناء على رغبة فرنسا وعلى نصيحة العسكريين البروسيين بدأت مفاوضات ديبلوماسية بين ايطاليا وبروسيا. وبعد تردد طويل من جانب ايطاليا قبلت بالتحالف مع بروسيا بعد أن نصحها بذلك نابوليون وبعد أن وعدها بحمايته. وهكذا وقعت معاهدة تحالف بين بروسيا وايطاليا في 8 نيسان سنة 1866 لمدة ثلاثة اشهر فقط. وبعد أن تمت هذه المفاوضات الدبلوماسية وجد بسمارك أن الوقت قصير أمامه مما يضطره لخوض الحرب قبل نهاية الثلاثة أشهر ولذا أخذ يحشد جيوشه سراً على حدود النمسا فعلمت هذه بذلك وحشدت جيوشها علنا مما أثار عليها الرأي العام وأظهرها بمظهر الدولة المعتدية وهذا ما كان يريده بسمارك لاسيما بعد أن طلبت إلى المسرحين العودة إلى السلاح. وقبل بداية الحرب حاولت النمسا استرضاء الدول الألمانية بأن عرضت

ترك أمر الدوقيتين لها ولكن بسمارك رأى في ذلك خرقا لاتفاقية غشتاين الموقعة بين النمسا وبروسيا والقاضية بضم شلزويغ لبروسيا وهولشتاين للنمسا.

وبدأت نذر الحرب وعندها اجتمع مجلس (الديات) وصوتت أكثرية الدول الألمانية إلى جانب النمسا لاسيما الدويلات الكبرى. بافاريا و وارتمبرج والهانوفر والساكس.

الحرب النمساوية البروسية:

بدأت المعارك في ليل 14 – 15 حزيران سنة 1866 بين بروسيا والنمسا بعد أن أعلن وفد بروسيا اعتباره الاتحاد لاغياً وانسحب من المجلس. وعندما بدأت الحرب أرسلت النمسا جيشا مؤلفا من 230 ألفا لمقابلة الجيوش البروسية وأرسلت جيشا مؤلفا من 140 ألفا ليرابط في الجنوب بانتظار الجيوش الايطالية. وفي 3 تموز وقعت معركة فاصلة تدعى معركة سادوا بين الجيشين النمساوي والبروسي سحق فيها الجيش النمسوي على يد بروسيا. وقد تم النصر قبل أن تتمكن الدول الألمانية المحالفة للنمسا من مساعدتها. وفي نفس الوقت كان الايطاليون قد بدأوا زحفهم من الجنوب فوقعت بينهم وبين النمسا معركة كوستوزا التي هزم فيها الايطاليون رغم تفوقهم في العدد. وقد كان لمعركة سادوا دوي هائل في أوروبا لأنها أتت تثبت في نظر الأوروبيين عظمة الجيش البروسي وحسن تنظيمه وتدريبه كما أثبتت أن البروسيا قد أصبحت دولة كبرى يجب أن يحسب لها حساب في ميزان القوى في أوروبا.

وقد كان أثر هذه المعركة أقوى ما يكون في فرنسا. فقد أدرك الجميع أن النصر البروسي تهديد مباشر للسلامة الفرنسية وإن الموقف الذي اتخذته حكومة الامبراطورية الفرنسية قبل الحرب والذي اتسم بالحياد إن لم يكن بالتأييد الفعلي لموقف بروسيا كان بمثابة خطأ شنيع. وعلى هذا الأساس وجدت فرنسا نفسها مجبرة على القيام بدور

الوسيط بين الطرفين وقد قامت بدور الوساطة هذا بناء لطلب النمسا. وبصورة خاصة لكي تمنع بروسيا من قطف ثمار انتصارها العسكري بشكل كامل. قبلت بروسيا ذلك على مضض ولكن ليكون لهذه الوساطة فعاليتها كان يجب أن تقرن بعمل أو باستعداد عسكري كما كان يريد وزير الخارجية الفرنسية. وخوف نابوليون وتردده وعجزه كل ذلك جعل الوساطة سلمية مما أفسدها وجعلها عديمة الجدوى والفعالية. وأخيراً تم الاتفاق في مجلس الوزراء الفرنسي على عرض الشروط التالية:

1 المحافظة على سلامة الأراضي النمساوية عدا البندقية.

2 حل الاتحاد الجرماني الذي كانت تتمسك به النمسا.

3 الاعتراف لبروسيا بحق انشاء الاتحاد شمالي الماين.

4 الدول الواقعة جنوبي النهر تشكل اتحادا تحت النفوذ الفرنسي.

5 اعطاء الدوقيتين لبروسيا.

وقد قبل بسمارك بهذه الشروط لأنه كان لا يريد اذلال النمسا بينما كان الملك والعسكريون يودون تحقيق الاتحاد والتوسع على حساب المناطق النمساوية. ولكن بسمارك تمكن من اقناعهم. ذلك أن سياسة بسمارك كانت تهدف لتحقيق الوحدة الألمانية وليس اذلال النمسا والقضاء عليها. وأخيراً تم الصلح على هذا الأساس سنة 1868 بين النمسا وبروسيا.

وفي 12 آب عقدت ايطاليا معاهدة الصلح مع النمسا، على أساس أن تتنازل هذه لفرنسا عن البندقية وتهديدها بدورها لايطاليا. وبموجب هذه المعاهدات تكون ألمانيا قد خطت خطوات واسعة نحو الاتحاد.

إذ إن ألمانيا أصبحت مقسمة إلى ثلاثة مناطق. اتحاد الماين وتتزعمه بروسيا اتحاد جنوبي الماين حيث للنفوذ الفرنسي أثر لا بأس به وأخيراً قسم تسيطر عليه

النمسا. وهكذا تمكن بسمارك من أن يقهر النمسا ويجعل مقاومتها للوحدة غير ذات أثر كما أنه سار شوطاً بعيداً في طريق الوحدة بأن أزال الاتحاد الجرماني من عالم الوجود.

الأثر في فرنسا:

شعر الفرنسيون منذ أيام معركة سادوا أن الخطر بات يهددهم بشكل قوي وأدركوا أن كل نصر تحرزه بروسيا يعتبر بحق ضربة قوية توجه إلى فرنسا ومما زاد في نقمة الفرنسيين أنه كان بإمكان نابوليون أن يساوم عندما قام بوساطته فيحقق لفرنسا بذلك بعض الأرباح ولكنه اكتفى بأن أخذ البندقية ليهديها لايطاليا. وتجاه ثورة الرأي العام الفرنسي رأى نابوليون الثالث نفسه مجبرا على احراز بعض المكاسب للفرنسيين ولكنه نسي أن الوقت قد فاته وأن بروسيا التي صفت خلافاتها مع النمسا قد أصبحت في وضع يمكنها من رفض كل مطلب جديد يتقدم به الفرنسيون.

سياسة بسمارك تجاه فرنسا:

كانت فرنسا تخاف الوحدة الألمانية إلى حد كبير وأنها ترى أن وجود دولة ألمانية على حدودها الشمالية يهدد سلامة الأراضي الفرنسية وقد كان بسمارك يدرك هذه الحقيقة فوضع خطته على أساس قهر النمسا أولاً ثم فرنسا ثانياً كمقدمة للوحدة الألمانية. وقد جاء تدخل نابوليون في الحرب بينه وبين النمسا يزيد بيسمارك اقتناعاً بأن فرنسا لم تتدخل إلا لتأخير الوحدة وعرقلتها. ولذا فإنه ما ان انتهى من الصراع مع النمسا حتى أخذ يستعد لمواجهة فرنسا ولكنه من جهة أخرى كان يهمه أن تكون فرنسا هي المعتدية في كل حرب مع ألمانيا . وقد ظل بسمارك يسعى لذلك حتى تهيأت له الفرصة سنة 1870.

العلاقات بين فرنسا – بروسيا حتى سنة 1870:

بعد انتهاء الحرب بين النمسا وبروسيا شعر نابوليون الثالث بأن الفرصة قد فاتته إذ كان بامكانه أن يفرض ما يشاء من مكاسب لمصلحة فرنسا حين قام بوساطته بين الدولتين. اراد أن يعوض عما فاته فأخذ يطالب بروسيا ببعض التعويضات الاقليمية. طلب أولاً بعض الأراضي الألمانية على الراين. ولكن بسمارك رفض ذلك بحجة أنه لا يملك حق التصرف في الأراضي الألمانية ثم عاد نابوليون وطالب ببلجيكا واللوكسمبورغ. فقبل بذلك بسمارك مبدئياً ولكنه أطلع انكلترا من طرف خفي على نوايا نابوليون مما أحرج موقف فرنسا ثم عاد نابوليون وطالب للمرة الثالثة باللوكسمبورغ فقط ولكن بسمارك رفض ذلك أيضاً فلجأت فرنسا إلى احتلال اللوكسمبورغ مما جعل الوضع يتأزم في أوروبا. عند ذلك عقد مؤتمر في لندن سنة 1867 تقرر في أثنائه أن تكون هذه الدولة منطقة حياد بين بروسيا وفرنسا. وهكذا يفشل نابوليون الثالث في جميع المحاولات التي قام بها للحصول على بعض المكاسب في أوروبا مما جعله يحقد على بروسيا ويصمم على محاربتها. ومما زاد في تأزم الأوضاع أن بسمارك لم يكتف بما حققه من مكاسب عقب الحرب النمساوية البروسية. بل عقد في سنة 1867 معاهدات تحالف بين اتحاد ألمانيا الشمالية وبين بعض دويلات ألمانيا الجنوبية وفي ذلك دليل على تصميم بسمارك على تحقيق الوحدة الألمانية رغم معارضة فرنسا لذلك.

وهكذا أخذ يتضح شيئاً فشيئاً أن الحرب بين بروسيا وفرنسا واقعة لا محالة إذ إن بسمارك لن يتراجع عن تحقيق الوحدة وفرنسا لن تسمح بذلك اطلاقاً. ومما زاد في حراجة الموقف أن السياسة الداخلية التي كان يتبعها نابوليون أثبتت فشلها إلى حد كبير مما جعله يفتش عن انتصارات عسكرية أو سياسية يقوي بها أركان حكمه المترجرج. ويشغل الفرنسيين عن الاهتمام بمشاكل فرنسا الداخلية وأوضاعها المتردية اقتصادياً ومالياً واجتماعياً.

الموقف الدولي حتى سنة 1870:

شعر الطرفان في سنة 1867 أن الحرب واقعة لا محالة أخذ كل منهما يعمل على تهيئة وضع ملائم له في أوروبا ففرنسا أخذت تفتش عن حلفاء لها ضد بروسيا وذلك لعلمها بأن الجيش البروسي قوي وربما عجزت عن قهره لوحدها أما بروسيا فكانت واثقة من قوة جيشها وقدرته على سحق فرنسا. فإنها أخذت تسعى لعرقلة الجهود الفرنسية في أوروبا ولضمان حياد دولها الكبرى وهنا سنعرض باختصار موقف كل من هذه الدول:

من المعلوم أنه في سنة 1867 كان وجه النمسا قد تبدل ذلك أن المجر كانت قد نالت استقلالاً ذاتياً. وأصبحت النمسا تدعى امبراطورية النمسا المجر. وهذا يعني أن النمسا لم تعد وحدها تقرر سياسة الدولة ومصيرها بل يشاركها في ذلك المجريون.

ثم إن النمسا بعد هزيمتها أمام بروسيا سنة 1866 غيرت أسس سياستها وجعلت اهتمامها ينحصر في الشؤون البلقانية وشؤون المتوسط وبذا أصبح خصمها الرئيسي روسيا وليس بروسيا. وعلى هذا الأساس وجدت فرنسا أنه لا يمكنها الاعتماد إلى حد كبير على النمسا التي لم تعد تهتم بالشؤون الألمانية. ورغم العروض الكثيرة والمتكررة ورغم الأمان السخية التي عرضها نابوليون على النمسا مقابل عقد تحالف مع فرنسا ضد بروسيا فإن نابوليون لم يحصل على أي نتيجة ايجابية من قبل الحكومة النمساوية.

ولم تكن روسيا تشعر بأي خطر من جراء قيام الوحدة الألمانية بل بالعكس كانت روسيا على استعداد دوما لتأييد بروسيا ذلك أن روسيا كانت دوما تهتم بقضايا البلقان من جهة وبمراقبة الوضع في بولونيا من جهة أخرى مخافة تجدد الثورة التي قامت سنة 1863 . وكانت روسيا تحرص على صداقة بروسيا لبقاء استقرار الوضع في بولونيا.

وكان الحكم في ذلك الوقت في انكلترا بيد الأحرار الذين كانوا منصرفين إلى معالجة شؤون الامبراطورية الداخلية: أميركا، كندا، الحدود الهندية الروسية، الشؤون الانتخابية، كل هذا صرف انكلترا عما يجري في أوروبا ولكنها رغم ذلك ظلت تتمسك إلى حد كبير ببقاء التوازن الدولي في أوروبا على حاله.

ولهذه الأسباب لم يحصل أي تحالف بين انكلترا وفرنسا وهكذا انقضت السنوات الثلاث السابقة للحرب في تسابق بين فرنسا وبروسيا على كسب ود الدول الكبرى وقد جاء عام 1870 دون أن تحصل فرنسا على حليف قوي يساعدها في حربها ضد بروسيا بينما كان بيسمارك قد ضمن صداقة روسيا وحياد انكلترا والنمسا. وعند ذلك بدأ يدفع فرنسا لكي تعلن الحرب ذلك أنه كان لا يريد ان يظهر في أوروبا بمظهر الرجل المعتدي.

أسباب الحرب:

في سنة 1868 طرأت مشكلة جديدة زادت في توتر العلاقات الفرنسية البروسية وأعني مشكلة العرش الاسباني ذلك أنه إثر صراع طويل بين الشعب الاسباني والأسرة المالكة فرت الملكة ايزابيلا من اسبانيا تاركة العرش الاسباني. فباتت مقدرات اسبانيا بيد رئيس وزرائها بريم الذي صار عليه أن يحل مشكلة خلو العرش. وقد رأى الجميع ضرورة استمرار الحكم الملكي ولذا بدأ البحث في أوروبا عن أمير لعرش اسبانيا. وقع الاختيار على الأمير ليوبولد من عائلة هوهنزلرن قريب قيصر بروسيا وشقيق ملك رومانيا وقد أعلنت فرنسا معارضتها لهذا الترشيح بصورة علنية فبقيت القضية دون حل حتى قدوم موفد خاص من قبل بريم لاقناع ليوبولد بالقبول إذ إنه كان زاهدا في هذا المنصب ولم تنجح مهمة هذا الموفد. وفي سنة 1870 عرض الأمر مجدداً على الأمير الذي أحال الطلب إلى الملك البروسي. وقد تحمس بسمارك كثيراً لهذه القضية باعتبار أن جود ملك على عرش مدريد من عائلة هوهنزلرن سيجعل من اسبانيا كماشة وبذاك

تصبح فرنسا اقل معارضة لمصالح بروسيا. ولكن الملك البروسي ظل متردداً لأنه كان يخاف من معارضة فرنسا القوية ومن امكانية وقوف الرأي العام في أوروبا إلى جانبها. وكذلك ليوبولد.إلا أن بسمارك بعد جهود جبارة تمكن من اقناع الملك والأمير. وأبلغ بسمارك قرار القبول في 21 حزيران سنة 1870 إلى الجنرال الاسباني .

ما إن علمت فرنسا بالأمر حتى أعلنت معارضتها الشديدة له وكلفت سفيرها في برلين بأن يقابل الملك الذي كان يقضي الصيف في أمس ويطلب منا التدخل لسحب الترشيح. وقد تمكن من اقناع الملك الذي كلف أحد مرافقيه بابلاغ رغبة الملك إلى ليوبولد. ولكن الحكومة الفرنسية لم تقنع بذلك وأصرت على الحصول على تعهد خطي من الملك فعاد السفير لمقابلته ولكنه لم يتمكن لأن الملك كان يستعد للعودة إلى برلين. وإلى هنا كان بسمارك غائبا والأمور تجري بغير علمه ولما أرسل له الملك برقية يوضح فيها الأمور ثار بسمارك وخاف أن تجري على غير ما يريد وعندها عمد إلى نشر برقية الملك بشكل مقتضب بحيث ظهرت وكأنها إهانة توجه للشعب الفرنسي بشخص سفيره.

وهنا حدث ما كان يريد وينتظر بسمارك فثار الشعب الفرنسي بشكل عنيف جداً وأخذ يطالب بالحرب. وفي 14 تموزعقد مجلس الوزراء الفرنسي ثلاث جلسات متوالية أقر فيها طلب اعتمادات عسكرية من المجلس. وفي 19 تموز وافق مجلس النواب على الطلب وبذلك أعلنت الحكومة الفرنسية الحرب على بروسيا.

وقد أعلنت روسيا في 20 تموز حيادها. ثم عادت في 23 تموز فأعلنت أنها ستبقى كذلك طالما أن النمسا محايدة أما إذا حاربت النمسا فإن روسيا ستحارب إلى جانب بروسيا. أما انكلترا فإنها أعلنت حيادها. وهكذا أصبحت فرنسا وحدها أمام بروسيا.

الحرب:

أظهرت الأحداث الأولى للحرب أن الجيش البروسي كان كامل العدة والتدريب عندما دعي للقتال. ذلك أن القيادة العامة البروسية وعلى رأسها فون مولتكه بطل معركة سادوا، قد احسنت تدريب الجنود الألمان وإعدادهم بصورة دائمة للحرب، كما أنها منذ سنة 1867 درست امكانية وقوع حرب قريبة مع فرنسا فوضعت لها الخطط ودرست تفاصيلها وأعدت لها كل أسباب النجاح. لقد درست أوضاع الجيش الفرنسي وعرفت امكانياته وقدراته ونقاط ضعفه، كما أنها اتخذت التدابير المناسبة للافاده إلى حد كبير من الوسائل الحديثة كالتلغراف وسكك الحديد ومدفعية الميدان في عملياتها القادمة. أما الجيش الفرنسي فعلى الرغم مما كان له في أوروبا من صيت وسمعة كبيرة وحسنة فقد كان يفتقر للقيادة الحازمة والسلاح الحديث والمؤن والمواصلات السريعة.

بسرعة كبيرة وقبل أن يكمل الفرنسيون تعبئة جيوشهم تقدمت الجيوش البروسية في الأراضي الفرنسية ناقلة المعركة إلى أرض أعدائها. وبعد يومين فقط من عبور البروسيين الحدود الفرنسية حققوا في 6 اب على الجيوش الفرنسية انتصارين كبيرين أحدهما في الألزاس والثاني في اللورين. أثارت أخبار هذين الانكسارين في باريس موجة هائلة من السخط والفزع مما اضطر الامبراطور. نابوليون الثالث للتنازل عن القيادة العليا للجنرال بازين غير أن هذا الأخير كان أعجز من أن يوقف التقدم البروسي السريع فقد توجه للاعتصام في مدينة متز الحسنة التحصين إلا أن البروسيين لم يلبثوا أن فرضوا عليه حصارا قوياً. وقد أظهر الجنرال بازين أثناء الحصار الكثير من التردد والتباطؤ أمام العدو مما عطل نهائياً قدرة جيشه البالغ تعداده(6 آلاف)ضابط و(170)ألف جندي في وقت كانت فيه فرنسا بأمس الحاجة لهذا الجيش للدفاع عن أراضيها.

أما الجيش الفرنسي الآخر والذي كان يتجمع في مدينة شالون بقيادة الجنرال مكماهون والذي كان يسعى للتراجع نحو باريس للدفاع عنها فقد أمره نابوليون بضرورة الاسراع نحو مدينة متز لرفع الحصار عن جيش بازين المحاصر بالقرب من الحدود البلجيكية. غير أن القائد البروسي فون مولتكه تعقب هذا الجيش في سيره والتقى به في سيدان حيث طوقه وأنزل به هزيمة ساحقة وأرغم حوالي(100)ألف رجل من جنوده على الاستسلام مع الامبراطور نابوليون. وكان ذلك في 2 ايلول سنة 1870 .

وبوصول أنباء هذه الهزيمة إلى باريس سقط النظام الامبراطوري وأعلنت الجماهير الفرنسية الهائجة في الرابع من سبتمبر سنة 1870 قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة وتشكيل حكومة الدفاع الوطني المؤقتة وقد قررت هذه الحكومة متابعة الحرب انقاذا لشرف فرنسا وكرامتها. وبعد أن وصل الألمان في 13 ايلول إلى ضواحي باريس وفرضوا الحصار عليها نقلت القيادة الحربية الجديدة مقرها إلى مدينة تور وأخذت تدير الحرب من هناك ضد بروسيا.

وقد كان بإمكان هذه الحكومة أن تقوم بأعمال هامة لاسيما بعد أن تمكن الزعيم الشعبي الفرنسي غمبتا من جمع جيش بلغ تعداده حوالي 180 الف جندي لو أن الجيوش الفرنسية النظامية تمكنت من الصمود في المعركة.

ففي 28 ايلول سقطت مدينتا تول وستراسبورغ وفي 27تشرين الاول استسلم الجنرال بازين وجيوشه لمحاصريه فتفرغ الألمان آنذاك لتشديد الحصار على مدينة باريس وأجبروها على الاستسلام في 28كانون الثاني سنة 1871 رغم مقاومة أهلها الشديدة الباسلة.

وعقب إعلان الهدنة بدأت المفاوضات بين الدولتين غير أن بسمارك أصر على أن يقوم الفرنسيون بانتخاب جمعية وطنية توقع على الصلح بين الدولتين. وفي 8 شباط

سنة 1871 جرت الانتخابات واجتمعت الجمعية الوطنية بعد أربعة أيام في مدينة بوردو وانتخبت السياسي الفرنسي تيير رئيساً للسلطة التنفيذية وفوضته بإجراء مفاوضات الصلح مع الألمان.

الامبراطورية الألمانية:

أدرك بسمارك بعد معركة سيدان وسقوط الحكم النابوليوني في فرنسا أنه قد بات بإمكانه أن يبدأ تنفيذ الوحدة الألمانية دون أن ينتظر نهاية الحرب مع فرنسا. ولذا بدأ سلسلة من المفاوضات مع الملوك والأمراء في الولايات الألمانية تهدف إلى تحقيق هذه الوحدة. كان عليه أول الأمر أن يصل مع هؤلاء إلى اتفاق على شكل الحكومة الألمانية الجديدة. ذلك أن عناصر الأحرار والمثقفين في كل الولايات الألمانية كانوا يريدون أن يقيموا دولة واحدة ديموقراطية مركزية تقضي على ما للأمراء والمقاطعات من امتيازات تاريخية. بينما كان امراء وحكومات الولايات وبصورة خاصة الولايات الجنوبية مثل بافاريا يحرصون على كياناتهم وامتيازاتهم. ولما كانت الحرب لم تنته بعد وكانت الولايات الجنوبية تساهم فيها بشكل جدي فقد آثر إرضاءها ولذا فقد اختار النظام الاتحادي كشكل للدولة الألمانية الجديدة. وعلى هذا فقد أبقى الولايات والامارات الألمانية على حالها وأعطى دولة بافاريا بصورة خاصة بعض الامتيازات كحقها في الاشراف على جيشها زمن السلم وفي الاهتمام بالسياسة الخارجية للدولة الألمانية.

هكذا توصل بسمارك مع الأمراء الألمان إلى اتفاق على اقامة دولة ألمانية موحدة في الشؤون الخارجية والعسكرية يرأسها القيصر الألماني. وتحتفظ ضمن هذه الدولة كل ولاية ألمانية بسيادتها الكاملة في الأمور الداخلية.

ولما كان ملك بروسيا، وهو المرشح الوحيد لتسلم عرش الدولة الألمانية الجديدة يرفض أن يستلم التاج الألماني من الشعب فقد جعل بسمارك الأمراء الألمان يعرضون

عليه تاج ألمانيا . وفي 18 كانون الثاني سنة 1871 اجتمع الأمراء والملوك الألمان في قاعة المرايا بقصر فرساي وكان ذلك قبل سقوط العاصمة الفرنسية بعشرة أيام فأعلنوا قيام الامبراطورية الألمانية وتوجوا وليم الأول ملك بروسيا رئيسا للدولة الجديدة ليحمل لقب القيصر الألماني.

معاهدة فرانكفورت:

بدأت المفاوضات بين بسمارك مستشار ألمانيا وتيير رئيس الحكومة الفرنسية في 26 شباط إلا أن المفاوضات طالت كثيراً وتعثرت أكثر من مرة بسبب صلابة بسمارك واصراره على فرض شروط للصلح على درجة كبيرة من الشدة والقساوة. وعلى الرغم مما أظهره الرئيس الفرنسي تيير من عناد وديبلوماسية فإنه قد فشل في تغيير موقف بسمارك بشكل جذري. وأخيراً وافق الفرنسيون على شروط الصلح المذلة التي فرضها الألمان بقوة وعناد والتي ستكون في المستقبل وإلى حد كبير أحد أبرز أسباب الحرب العالمية الأولى. وفي 10 آيار سنة 1871 تم توقيع الصلح بين الدولتين وهو المعروف بصلح فرانكفورت. وأبرز شروط هذا الصلح ما يلي:

1 تحتل بروسيا مقاطعتي الألزاس واللورين وكذلك مدينة متز.

2 تدفع فرنسا غرامة حربية مقدارها خمسة مليارات فرنك ذهبي خلال خمس سنوات.

3 تحتل الجيوش الألمانية أراضي فرنسا الشمالية حتى يتم دفع الغرامة المالية (وقد دفعها

الفرنسيون كاملة خلال ثلاث سنوات ليتخلصوا من جيوش الاحتلال البغيضة).